المحـور الثالث عشر

رسائل ترشيد الصحوة

١٩٨

الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين

الإمـام يوسف القرضاوي

الأستاذ الدكتور أحمد العسّال

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة: ٢، ٣].

نسخة مجانية

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن اسْتُعْمِلَ عليكم عبد حبشي، كأنَّ رأسه زَبِيبة**». رواه البخاري.

عن ابن عباس، أنَّ عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبيَّ ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عِزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنَّا صِرْنَا أذلَّة. فقال: «**إنِّي أُمِرْتُ بالعفو، فلا تقاتلوا**». فلما حوَّلنا الله إلى المدينة، أَمَرَنا بالقتال، فكَفُّوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]. رواه النسائي والحاكم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الجديدة

ربَّنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وصلاة وسلامًا على رحمتك للعالَمِين، سيِّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

فهذه رسالة نشرت في أواخر الخمسينيَّات من القرن الماضي (العشرين)، حين كنتُ أعمل أنا وأخي أحمد العَسَّال في الإدارة العامَّة للثقافة الإسلاميَّة بالأزهر، الَّتي كان أستاذنا الدكتور مُحَمَّد البهي مديرًا عامًّا لها.

وقد عهد إلينا في ذلك الوقت ـ بعد أنْ أخرجنا كتب الإمام الأكبر شيخنا الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر ـ أنْ نتتبع ما ينشر في الصحف عن الإسلام إيجابًا وسلبًا، لنرصده ونردُّ على ما يستحقُّ الردَّ منها.

وقد نشر الشُّيوعيُّون في العراق، في عهد عبد الكريم القاسم ـ على ما أذكر ـ كراسة تهاجم الإسلام وتعاليمه وحضارته، عُرفت باسم «الكراسة الرماديَّة»، وتحدثت عنها الصحف المصريَّة، وقد استاء الجمهور المصري ممَّا نشر فيها من إساءة بالغة إلى الإسلام.

QaradawiBooks.com

وقد طلب إلينا أستاذنا الدكتور البهي أن نكتب ردًّا مُركَّزًا ينشر في مَجَلَّة الأزهر ويترجم إلى الإنجليزيَّة، ثمَّ يُنْشَر في رسالة مستقلَّة أيضًا، وقد وُفِّقْنا بحمد الله لكتابته ونشره، أنا وأخي العَسَّال، ونُشِرَ في مَجَلَّة الأزهر، كما قام بترجمته الأخ الكريم الأستاذ حمودة عبد العاطي الباحث بمراقبة البحوث والثقافة، وقد توسَّع فيه بعد ذلك، وكان أساسًا لكتاب باللغة الإنجليزيَّة هو «جوهر الإسلام».

ولم يُقدَّر لهذه الرسالة أن تُنْشَر بعد ذلك ـ فيما أعلم ـ حتَّى عثر عليها أخونا الأستاذ سلطان حُسَيْن وهبة ففرح بها، واستأذنني في إعادة نشرها، فأذنتُ له، ولم أضف إليها جديدًا، إلَّا بعض التخريج، وإلَّا هذه المُقَدّمة.

أسأل الله أنْ ينفع بها مَنْ كتبها، ومن نشرها، وكلَّ من قرأها، آمين.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

ربيع الآخِر ١٤٣٢هـ

مارس ٢٠١١م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(أمَّا بعد)

فإنَّ المعركة بين الإسلام وخصومه معركة قديمة جديدة، وستظلُّ قائمةً ما بقي في الوجود حقائق وأباطيل.

وخصوم الإسلام صِنْفان:

الصِّنْف الأوَّل: من متعصِّبي الأديان الأخرى، وخاصَّة المستشرقين والمُبَشِّرين، الَّذين يسوؤهم انتشار الإسلام، وامتداد نوره في كلِّ قارَّة، رغم ما ينقص أهله ودعاته من طاقات داخليَّة وإمكانات، ورغم ما يعوقه عن الانطلاق من قيود داخليَّة وخارجيَّة.

والصِّنْف الثاني: من المادِّيِّين المُلْحِدين الَّذين يخاصمون الأديان جميعًا ويختصُّون الإسلام بمزيدٍ من العداوة والنقمة؛ لأنَّهم يعلمون أنَّه الدِّين الفذُّ الَّذي يحمل نظامًا كاملًا للحياة، يزاوج بين الرُّوح والمادَّة، والفرد والمجتمع، والدُّنْيا والآخرة، وأنَّه الدِّين القادر على إمداد أتباعه

QaradawiBooks.com

بكلِّ المُقَوِّمات والطاقات المعنويَّة والرُّوحيَّة، الَّتي تضمن القوَّة والغلبة في معركة الحياة.

وليس لهؤلاء وأولئك سلاحٌ إلَّا تصيُّد الشبهات الواهية، وتلفيق الأكاذيب والافتراء على الله، وعلى النَّاس، وعلى الحقِّ والتاريخ.

رأينا من هذه الملفَّقات ما نشره شيوعيُّو العراق، ممَّا عُرِفَ باسم «الكراسة الرماديَّة». وقد انتظرنا حتَّى ترجم إلينا نصُّها الكامل من الإنجليزيَّة إلى العربيَّة، وقرأناها كلمة كلمة، فلم نجد فيها إلَّا الافتراء والتضليل، اللذَيْن لا يروجان عند البسطاء، فضلًا عن المُثَقَّفين والعقلاء.

زعم هؤلاء ـ حسَب تفسيرهم للتاريخ ـ أنَّ ظهور الإسلام كان نتيجة للعوامل الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة الَّتي كانت تسود الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام، وأنَّ الوثنيَّة كانت في طريقها إلى الفناء، وأنَّ التحنُّف ـ الميل إلى التوحيد ـ كان ظاهرة منتشرة. ومُحَمَّد إذنْ ليس رسولًا من الله، والقرآن ليس وحيَ الله؛ لأنَّ «الله» هذا غير موجود في نظرهم.

شكَّك هؤلاء في تواتر القرآن، وادَّعَوْا أَن عدَّة «قرآنات» أخرى أُلِّفت لمعارضته، وزعموا أنَّ هذا القرآن يُعَارض العلم والتقدُّم، ويخبر بأمورٍ لم تتحقَّق إلى الآن، كقيام الساعة في وقت قريب، واستغلُّوا ما قاله علماء المسلمين من وجود «مُتَشابِهات» في القرآن للتشكيك في بيانه ووضوحه.

وردد هؤلاء ما يقوله بعض المستشرقين عن «الحديث النبوي» وقيمته العلميَّة والتاريخيَّة، وتحرِّي علماء الإسلام في قبوله.

QaradawiBooks.com

وقالوا عن العقيدة الإسلاميَّة: إنَّها عقيدة «الجبر المُطْلَق»، وليس للإنسان في الإسلام حُرِّيَّةٌ أو اختيار.

وادعوا أنَّ الصلاة منقولة من بعض الديانات القديمة، وأنَّ المسلمين يَحُجُّون إلى حَجَرٍ في مكَّة.

وافترَوا على الفقه الإسلامي في نشأته ومذاهبه وغايته، وادَّعوا أنَّه نشأ في عهد الخلافة العباسيَّة لتبرير أعمال الخلفاء، إلخ.

وزعموا أنَّ الإسلام يُؤيِّد الإقطاعيِّين، ويعترف بالطبقيَّة، ويقرُّ بالتفاوت الَّذي جعل بعض الناس عبيدًا لبعض. كما أنَّه يُقِرُّ الرِّقَّ، ويبارك مُلَّاك الرقيق.

وزعموا فيما زعموا، أنَّ الحاكم أو الخليفة في الإسلام نائبٌ عن الإلٰه أو وكيلٌ له، وأنَّ الشعب مُسَخَّرٌ لطاعة الحاكم، وأنَّ بيت المال مِلْكٌ خاصٌّ للخليفة.

وكرروا مفتريات المفترين عن وضع المرأة في الإسلام، وطغيان الرجل على المرأة، وعن سياسة القتال والفتح الإسلامي، إلخ. تلك الأكاذيب الَّتي نعرفها.

والخلاف بيننا وبين هؤلاء القوم خلاف جِذْرِيٍّ، خلاف في الأصول نفسها. لهذا كان لا بدَّ في ردنا أن نقيم الأدلَّة على صحَّة الإيمان لوجود الله أوَّلًا، وصِدْق النُّبُوَّات ثانيًا، وإذا تأسس هذان الأصلان كان من السهل إثبات نبوَّة مُحَمَّد ﷺ، وأنَّه رسول الله، وأنَّ القرآن كتاب الله حقًّا.

أمَّا الشبهات والمفتريات الأخرى، فإنَّ دفعها ونقضها ليس بالعسير على أيِّ دارس للإسلام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة من

ومن هنا لم نجد صعوبة أنا وزميلي الأســتاذ الدكتور أحمد العسَّال حيث كُلِّفنا بالردِّ على هذه «الكراسة» وما فيها من أغاليطَ وأضاليل.

ونرجو أن نكــون بهذا الردِّ المُوجَز المركَّز قــد أدَّينا بعض الواجب علينا في الذَّوْد عن دِينِنا، والدفاع عن أُمَّتنا.

والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حملة قديمة

الحملة على الأديان ليست بنت اليوم ولا وليدة الأمس، وليست من مبتكرات المادِّيَّة الماركسيَّة الَّتي زعمت أنَّ الدِّين أفيون الشعوب.

قال الأديب الفرنسي «فولتير»: إنَّ فكرة التأليه إنَّما اخترعها دُهاةٌ ماكرون لقوا من يُصدِّقهم من الحمقى والسخفاء.

وفولتير أيضًا لم يكن مبتكرًا لهذا، فمن قديم ظهر مثل هذا الزعم عند «السوفسطائيين» من اليونان الَّذين أنكروا حقائق الأشياء، أو شكَّكوا فيها، وكان فيما روَّجوه من مغالطات وتشكُّكات أنَّ الإنسان في أوَّل نشأته كان لا يخضع إلَّا للقوَّة، لا لدِينٍ، ولا لقانون، ثمَّ كان أن وضعت القوانين، فاختفت المظاهر العلنيَّة من هذه الفوضى البدائيَّة، ولكن الجرائم السِّرِّيَّة ما برحت سائدة مُنتشرة، فهناك فكر بعض العباقرة في إقناع الجماهير بأنَّ في السماء قوَّة أَزَلِيَّة أبدِيَّة، ترى كُلَّ شيءٍ، وتسمع كُلَّ شيءٍ، وتُهَيْمن بحكمتها على كلِّ شيء[1].

(١) الدين للدكتور محمّد عبد الله دراز صـ ٨١، نشر دار القلم، الكويت، ط ٢، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

«ولسنا ننكر أن تكون هناك عقيدة معيَّنة قد استُحْدِثَت في عصرٍ ما، أو أنْ يكون ثمَّــة وضع خاصٍّ من أوضــاع العبادات قد جــاء مجلوبًا مصنوعًا، فذلك سائغ في العقل، بل واقع بالفعل.

أمَّا فكــرة التديُّن في جوهرهــا، فليس هناك دليلٌ واحــد على أنَّها تأخَّرت عن نشأة الإنسان.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

التديُّن غريزة فِطريَّة

يقول معجم «لاروس» للقرن العشرين: إنَّ الغريزة الدينيَّة مشتركة بين كلِّ الأجناس البشريَّة، حتَّى أشدِّها همجيَّة، وأقربها إلى الحياة الحيوانيَّة... وإنَّ الاهتمام بالمعنى الإلٰهي، وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالميَّة الخالدة للإنسانيَّة.

ويقول هنري برجسون: «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانيَّة من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنَّه لم توجد قطُّ جماعة بدون ديانة»[1].

ويقول «أرنست رينان» في «تاريخ الأديان»: «إنَّ من الممكن أنْ يضمحل كلُّ شيء نحبُّه، وأنْ تبطل حُرِّيَّة استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أنْ ينمحي التديُّن بل سيبقى حجَّة ناطقة على بطلان المذهب المادِّي، الَّذي يريد أنْ يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة في الحياة الأرضيَّة».

ويعلق الأستاذ مُحَمَّد فريد وجدي على هذه الكلمة في «دائرة معارفه» فيقول: في مادة «دين»: «نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان صـ ٨٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التديُّن؛ لأنَّها أرقى ميول النفس وأكـــرم عواطفها، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان»[١].

ففطرة التديُّن ســـتلاحق الإنســـان ما دام ذا عقل يعقـــل به الجمال والقبح، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علوِّ مداركه، ونمو معارفه.

والحقُّ أنَّ الإيمان بقـــوَّة عليا ـ خلقت هذا الكـــون وقامت بتدبيره ورعايتـــه على إحكام نظـــام ـ ضرورة عَقليَّـــة بعد كونه ضـــرورة فِطْريَّة ووجدانيَّـــة، فإنَّ العقل الإنســـانيَّ بغير تعلُّم ولا اكتســـابٍ يؤمن بقانون السَّبَبيَّة، ولا يقبل فعلًا من غير فاعل، ولا صَنْعة من غير صانع.

وبدون التديُّن والإيمان سيظلُّ هذا الســـؤال الَّذي أثاره القرآن حائرًا بغيـــر جـــواب: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

وبداهة لم يُخلَقوا من غير شـــيءٍ وطبعًا لم يَخلقوا هم أنفسهم، ولم يزعم أحدٌ أنَّه خلق ذرَّة في السماوات أو في الأرض، فلم يبقَ إلَّا الاعتراف بوجود الخالق العليم الحكيم، الَّذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَه ثمَّ هدى.

والَّذين فرُّوا من الاعتراف بالألوهيَّة الخالقة، لأنَّها شيء غير مشاهد ولا محسوس، ولا يدخل تحت التجربة، لم يمكنهم إلَّا أن يلجؤوا إلى قوَّة غامضة خفيَّة هي الأخرى أطلقوا عليها «الطبيعة».

وقد كان الوثنيُّون والجاهليُّون أقوم فِكْرًا، وأصرح رأيًا، حين اعترفوا بموجب الفطرة ومتقضى العقل، فلم يلفُّوا ويدوروا كهؤلاء الَّذين يقولون

(١) دائرة معارف القرن العشـــرين (١١١/٤)، مادة (د. ي. ن)، نشـــر دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧١م.

QaradawiBooks.com

بالدهر والطبيعة، فحين سئلوا: من خلق السماوات والأرض؟ قالوا في صراحةٍ وصدق: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

إرسال النبيِّين من آثار الرحمة الإلٰهيَّة

وكان من مقتضى الحكمة الإلٰهيَّة البالغة، والرحمة الإلٰهيَّة الواسعة: ألَّا يترك الناس سدى أو هملًا يتخبَّطون على غير هدى، أو يختلفون بغير حكم ولا مرجع، فبعث الله النبيِّين مُبَشِّرين ومُنْذِرين، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه. وليضعوا لهم أسس الحياة الفاضلة، وليرسموا لهم الطريق إلى الله، وإلى سعادة الآخرة والأولى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وكان من حكمة الله أن يكون هؤلاء بشرًا لا ملائكة، يبعثون من بين أقوامهم ليكونوا آنس بهم، وأعرف بأحوالهم، وأقدر على التأسِّي بأخلاقهم، وقد تعجب بعض الناس أن يرسل الله بشرًا، فردَّ الله عليهم: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

وقد أيَّد الله هؤلاء المرسلين بالحُجَّة القاطعة، والآيات البيِّنات على صدق دعوتهم، وأنَّهم رسل الله حقًّا ولم يملك المُنْصِفون من معاصريهم إلَّا أنْ يُذْعنوا لهم ويؤمنوا برسالتهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. وأوضح مثل على ذلك

QaradawiBooks.com

سحرة فرعون، الَّذين انتقلوا من الإيمان بربوبيَّة فرعون إلى الإيمان الحقِّ: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠]، ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه: ٧٢].

وقد تعهَّد الله البشريَّة في شتَّى عصورها بأنبياء ومرسلين، كانوا منارات هادية، وقادة مبيِّنين ومُعَلِّمين، إلى أنْ أكمل الله الدين، وختم الرسالات ببعثة النبيِّ الأُمِّي مُحَمَّد بن عبد الله بالرسالة العامَّة الخالدة، ليكون للعالَمِين نذيرًا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

رسالة الإسلام

يخطئ كل الخطأ مَن يحاول أنْ ينعت الإسلام بأنَّه رسالة أرضيَّة اخترعها بشرٌ، ونسَّقها فكرُ إنسان، أو أنَّه ظاهرة اجتماعيَّة أوحت بها أسباب تاريخيَّة أو عوامل اقتصاديَّة.

إنَّ مَن يحاول هذه المحاولة يخدع نفسه أوَّلًا، ويكذب على النَّاس ثانيًا؛ ذلك أنَّه يعصب عينيه، ويستر عقله عن كلِّ عوامل المعرفة الصحيحة، فهو يتجاهل التاريخ الصحيح، ويضلُّ عن الواقع الاجتماعي والعملي في جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده، فإنَّ أحوال القبائل العربيَّة في مكَّة وما حولها معروفة في التاريخ؛ كانت حياتها حياة انتجاعٍ وسفر وتجارةٍ، وسمرٍ ولهو، وحربٍ وخصام على ناقةٍ أو فرس، كما نعرف من حرب البَسُوس، وداحِس والغَبْراء.

ومن ناحية العقيدة معروف كذلك: أنَّه كان لكلِّ قبيلةٍ وثنٌ تعبده وتستعين به وتستقسم عنده، وكانت الكعبة مُعَظَّمة عندهم، يتوارثون تعظيمها من قديم، وكانت كلُّ قبيلة تأتي بصنمها فتجعله حول الكعبة، حتَّى بلغ عدد الأصنام في الكعبة ثلاثمائة وسِتِّين.

ولم تكن الوثنيَّة سطحيَّة في بلاد العرب، بل كانت متغلغلة في أعماق

QaradawiBooks.com

حياتهم: ظهر ذلك في حَجِّهم ونذروهم، وبَحَائِرهم وسوائبهم، وسائر شؤونهم: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

والتحنُّف قبل الإسلام لم يُعرف به إلَّا أفراد معدودون، كانوا أسلم فطرة، وأنضج عقولًا من أن يجاروا تيار الوثنيَّة في قومهم، فهجروا الأوثان وتعبدوا على ما بلغهم من دين أبيهم إبراهيم، أو اعتنقوا ديانة كتابية كالنصرانيَّة أو اليهودية.

ولم يكن لهؤلاء دعوةٌ أو أثرٌ في قومهم يُخَفِّف من غلواء وثنيَّتهم وتمسُّكهم بأصنامهم، حتَّى إنَّ دعوة الرسول مُحَمَّد ﷺ إلى التوحيد لقيت استنكارًا بالغًا ورفضًا صارمًا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۞ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٥ ـ ٧].

ولمعرفة الرسول بعصبيَّة قومه لوثنيَّتهم لم يُفَاجئهم بدعوته إلى التوحيد، وتحسَّس طريقه إلى القلوب لمدَّة ثلاثِ سنوات، ثمَّ بدأ ينذر عشيرته الأقربين، ويتدرَّج في التبشير بالدعوة، ومع هذا لم يكَدْ يعثر إلَّا على الفرد بعد الفرد مدَّة ثلاثةَ عَشَرَ عامًا، لقي فيها مرير الأذى، وصنوف العذاب هو وأصحابه، واضطرَّ أنْ يأمرهم بالهجرة إلى الحبشة مرَّتين.

وأعقب هذا الاضطهاد القاسي في مكَّة، صراعٌ دامٍ في المدينة دافعت

QaradawiBooks.com

به الوثنيَّة عن نفســها، وألقت بكل ما تملك مــن أرواح وأموال، حتَّى لا يقوم في الأرض دين التوحيد.

فهل يمكــن أن يُقال بعد هذا: إنَّ الجزيــرة العربيَّة كانت تتطوَّر إلى التوحيد بتأثير العوامل الاجتماعيَّــة، وأنَّ التحنُّف كان ظاهرة عامَّة قبل الإسلام؟!

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

القرآن هو الآية الكبرى على رسالة مُحَمَّد ﷺ

كان من حقِّ الناس أن يقولوا لمن يدَّعي النبوَّة عن الله: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤]. وقد أيَّد الله رسله بآيات كونيَّة ناسبت عصرهم وما برع فيه قومهم، من مثل قلب العصا حيَّة لموسى، وإحياء الميت وإبراء الأكمه لعيسى. ولمَّا كانت دعوة مُحَمَّد دعوة عامَّة خالدة للإنسانيَّة كلِّها، وللأجيال كُلِّها، شاءت حكمة الله أن يؤيِّده بآية عامَّة خالدة أيضًا، آية عَقليَّة معنويَّة هي «القرآن الكريم».

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]. قد اشتمل القرآن على وجوه من الإعجاز خرست أمامها ألسنة المعارضين، وانقطعت حُجَّتهم أمام التحدِّي الواضح المثير: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

QaradawiBooks.com

وحقت عليهم الغلبة والإذعان الَّتي سجلها التاريخ والواقع، وصدق قول القــرآن نفســه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

واســتطاع هذا الكتاب المبين أنْ يحدث أكبر ثورة نفسيَّة واجتماعيَّة غيَّرت وجه التاريخ، وأنشــأت أمَّة من العدم، قوَّتها من ضعف، وهدتها من ضلالة، وجمعتها من شــتات. فأصبح لها بفضل هــذا القرآن كيان واحد، وتشــريع يحتكم إليه، وأخــلاق تُوَجِّه ســلوكها وأعمالها وجهة الخير، ورسالة عالميَّة تدعو النَّاس إليها، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة: ٢، ٣].

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

القرآن آية وهداية

وقد امتاز القرآن عن آيات الأنبياء جميعًا بأنَّه آية وهداية معًا، أو كما وصف نفسه: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والآية المعجزة إذا كانت من جنس الرسالة والدعوة: كانت أدلَّ على صدق من أُيِّد بها، وأثبت عند العقل من الآيات الخارجة عنها.

وضرب بعض العلماء لذلك مثلًا: رجلًا ادَّعى في بلاد كثرت فيها الأمراض أنَّه طبيب، وأنَّ دليله على ذلك أنَّه ألَّف كتابًا في علم الطب، يداوي المرضى بما دوَّنه فيه فيبرؤون، فاطلع عليه الأطباء البارعون، فشهدوا بأنَّه خير الكتب في الطب وما يتعلق به من عمل، ثمَّ عرض عليه مَن لا يُحصى عددًا من المرضى وقبلوا ما وصفه لهم من الأدوية فبرئوا من عللهم، وصاروا أحسن صحَّة، فهل يمكن المراء في صحَّة هذه الدعوى ـ دعوى الطبيب ـ مع هَذَيْن البُرهانَيْن العلمي والعملي؟

كلا، وإنَّ العلم بطبِّ الأرواح أعلى وأعزُّ منالًا من طبِّ الأجسام، وإنَّ معالجة أمراض الأخلاق وأدواء الاجتماع، أعسر من مداواة أعضاء الأفراد.

ومن المعلوم بالضرورة أنَّ القرآن مشتمل على العقائد الصحيحة، والآداب العالية، وأصول التشريع الاجتماعي والمدني، وأنَّ النبيَّ ﷺ عالج به أمَّة عريقة في الشقاق وحَمِيَّة الجاهلية، عريقة في الجهل

QaradawiBooks.com

والأميَّة، ورذائل الوثنيَّة، فشـفيت واتحدت وتعلمت الكتاب والحكمة، وسادت الأمم من بدو وحضر، مع أنَّه كان أميًّا لم يتعلم شيئًا من العلوم، ولم يتمرَّس في سياسة الشعوب.

كَفَـاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّـيِّ مُعْجِزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي اليُتُمِ[1]

لو اسـتدلَّ ذلك الطبيب الجسـداني على صحَّة دعـواه بعمل غير مألوف للنَّاس، ولكن لا علاقة له بالطب، لأمكن المراء في صحَّة دعواه، كذلك شأن هذا النبي في ادعائه أنَّه مرسل من الله لهداية البشر، فإنَّ كتابه العلمي المؤيد بنجاح العمل بـه، أدل على كونه وحيًا أوحاه الله إليه من جعل عصا حية أو إحيائـه ميتًا؛ لأنَّ هذين ـ على غرابتهما ـ ليسـا من موضوع الإرشاد والتعليم، كما أنَّهما ليسـا من موضوع الطبِّ، فهما إنْ دلَّا على صدق الرسول فدلالتهما ليست في أنفسهما.

والإتيان بعمل خارق للمألوف في العادة من سـنن الكون، هو دون الإتيان بالعلوم العالية الإلٰهيَّة والتشريعيَّة من غير تعليم، فكيف بالإتيان بأنباء الغيب: الماضي والمسـتقبل؟ فكيف بصلاح حال من عملوا بهذه العلوم دِينًا ودُنْيا؟

فالقرآن إذنْ برهان علـى أنَّ ما فيه من الطبِّ الرُّوحاني والاجتماعيِّ وحْيٌ من المدبِّر الحكيم، لا يُماري فيه إلَّا مُعاندٌ مكابرٌ أو مُقَلِّدٌ جاهل[2].

* * *

(١) انظر: البردة مع شرح الباجوري صـ ٦٥، نشر مكتبة الصفا، درب الأتراك، القاهرة.

(٢) تفسير المنار (١٨٣/١)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

أين المعارضون للقرآن؟

ظهر بعد نجاح الدعوة الإسلاميَّة في الجزيرة العربيَّة ـ لأسبابٍ نفسيَّة وقلبيَّة ـ بعض مدَّعي النبوَّة، فماذا كانت حُجَّتهم؟ وما هي كتبهم الَّتي دعوا إليها الناس، وما هي أعمالهم الَّتي ترجمت رسالتهم؟

في العام التاسع والعاشر من هجرة الرسول، ثمَّ في عهد أبي بكر، تنبَّأ مسيلمة الَّذي ظهر في اليمامة في قومه بني حنيفة، مناوأة لقريش أنْ تستأثر بالنبوة في زعمهم وزعمه.

والأسود العنسي الَّذي تنبَّأ في اليمن.

وطلحة بن خُوَيْلِد الأَسَدي الَّذي ظهر في قبيلة «أَسَد».

وسَجَّاح بنت الحارث الَّتي ظهرت في «بَنِي تَغْلِب».

وقد تحدَّثت الروايات عن مُسَيْلمة وغيره أنَّهم أنشؤوا كتبًا يُعارضون بها القرآن، لم تَسَع ذاكرة الأدب والتاريخ شيئًا منها إلَّا ما تندَّرت به الروايات من مثل قول مُسَيْلِمَة: «يا ضَفْدَعُ يا بنتَ ضِفْدَعِين، نِقِّي ما تَنِقِّين، نصفُك في الماء ونصفُك في الطِّين، لا الماء تُكَدِّرين، ولا الشارب تمنعين»[1].

(١) انظر: الحيوان للجاحظ (٥/٢٨٠)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وسواء صحَّت هذه الروايات أو لم تصحَّ، فإنَّ التاريخ الَّذي ترك لنا تراثًا هائلًا من الشعر والحكم والأمثال وغيرها، لم يجد شيئًا ذا قيمة أدبيَّة يمكن أنْ يُسَجِّله أو يحتفظ به.

ولم يستطعْ باطل هؤلاء أنْ يصمد طويلًا أمام الإسلام الحقِّ، فسرعان ما انتهى أمرهم، بعضهم بالموت، وبعضهم بالإذعان للإسلام، كما فعل طلحة الَّذي انضمَّ إلى صفوف المجاهدين المسلمين بحماسة بالغة، يُكَفِّر بها عن ماضيه في مناوأة الإسلام.

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وفي عهد الدولة العباسيَّة تحكي لنا بعض الروايات عن أشخاص اتُّهِموا بمعارضة القرآن منهم: ابن المُقَفَّع. ولم تُعَزَّز هذه التُّهمة بذكر نصوص هذا القرآن المُقَلَّد.

فقد ذكر ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة والباقِلَّاني: أنَّ ابن المُقَفَّع عندما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠]، إلى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]، عدل عن إنشاء قرآنه، وقال: هذا ما لا يستطيعُ البشر أن يأتوا بمثله[1]. وترك المعارضة، وأحرق ما كان قد اختلقه.

وذكر الباقِلَّاني إنَّ قومًا ادَّعوا أنَّ ابن المقفَّع عارض القرآن في كتابه «الدرة اليتيمة»، ولم يَجِد الباقِلَّاني فيما أنشأ ابن المُقَفَّع بهذا الكتاب ما يصحُّ أنْ يكون تقليدًا للقرآن[2].

(١) الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان صـ ٢٦٦، نشر دار الكتب العلميّة، ط ٢، ١٤٠٨هـ.

(٢) إعجاز القرآن صـ ٣٢، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر دار المعارف، مصر، ط ٥، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

ومن الَّذين اتُّهِموا بهذه التهمة وهي محاولة محاكاة القرآن: «أبو العلاء المَعَرِّي»، في كتاب «الفصول والغايات»، وما ورد في هذا الكتاب: «أُقْسِمُ بخالق الخيل، والريح الهابَّةِ بليل، بين الشرط ومطالع سُهَيْل، إنَّ الكافر لطويلُ الوَيْل، وإنَّ العمر لمكفوفُ الذَّيل. فعُدَّ مدارجَ السبيل، وطالع التوبة من قَبِيل، تَنْجُ وما إخالُك بناجٍ»[1].

ويقول الرافعي: ولا ريب أنَّ هذا فِرْيَة على المَعَرِّي أراده بها عدوٌّ حاذق؛ لأنَّ الرجل أبصر بنفسه، وبطبقة الكلام الَّذي يُعارضه، وما أراه إلَّا أعرف الناس باضطراب أسلوبه، والتواء مذهبه، إلخ[2].

ويقول طه حُسَيْن: هل أراد أبو العلاء إلى معارضة القرآن في «الفصول والغايات» كما ظن بعض القدماء؟ نعم، ولا.

نعم، إنْ فهمنا في المعارضة مجرَّد التأثُّر ومحاولة المحاكاة، إن فهمنا من المعارضة أنَّ أبا العلاء قد نظر إلى القرآن على أنَّه مَثَل أعلى في الفنِّ الأدبي فتأثَّر به، وجدَّ في تقليده، كما يتأثَّر كلُّ أديبٍ بما يُعْجَب به من المثل الفنِّيَّة العليا، ذلك شيء لا شكَّ فيه، فأيسر نظر في كتاب «الفصول والغايات» يشعرك بأنَّ أبا العلاء حاول أن يُقَلِّد قصار السور وطِوَالها، وليس المهمَّ أنَّه وُفِّقَ في هذا التقليد أو لم يُوَفِّقْ، من المُحَقَّق أنَّ التوفيق لم يُقَدَّر له كما لم يُقَدَّر لغيره، بل من المحقَّق أيضًا أنَّه لم يظفر إلَّا بمثل سجع الكُهَّان، ولكنَّ المهمّ أنَّ هذه المحاولة ظاهرة ملموسة في الكتاب ولا تلزمه إثمًا ولا حوبًا.

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢٧٧١/٦)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة للرافعي صـ ١٢٩، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

ولا، إِنْ فُهِمَ من المعارضة الاستجابة للتحدِّي ومحاولة الإتيان بسورةٍ أو سُوَرٍ مثل القرآن، فهذا خاطر ما أحْسبه خَطَر لأبي العلاء، فقد كان أشدَّ تواضعًا من أن يبلغ به الكبر إلى هذا، وقد كان أعقل من أن يطاول ما لا سبيل إلى مطاولته، إلخ[1].

وآخر ما عرفنا من محاولات المُتَنَبِّئين الَّذين يتحدَّثون عن صلتهم بوحي السماء، وأنَّه ينزل عليهم قرآنًا، كما كان ينزل القرآن على مُحَمَّد ﷺ، هي محاولات: غلام أحمد الهندي القادياني، وميرزا عليّ البابِ، وتلميذه البهاء.

ومن حُسْن الحظِّ أن أتباع هؤلاء لا يظهرون هذه القرآنات المزعومة، بل يسترونها كما تُسْتَر العَوْرات! ومن استطاع بوسيلة ما أن يقرأ شيئًا من هذه الكتب لم يجد إلَّا الغثاثة والتفاهة الفِكْريَّة والبيانيَّة، وخرج منها بيقينٍ أعمقَ بأنَّ هذا القرآن من عند الله: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

* * *

(١) مع أبي العلاء في سجنه (٤٦٨/١٠) ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، نشر الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإسلام عقيدةٌ ونظام

والإسلام الَّذي بُعِثَ به مُحَمَّد ﷺ، وكان القرآن مصدره الأوَّل ليس ـ كما يظنُّ القاصرون ـ دِينًا لاهوتيًّا، وليس عقيدةً فقط تُعْنَى بالجانب الرُّوحي للإنسان، دون أن تُعْنَى بتنظيم علاقته بالكون، وعلاقته بالحياة، وعلاقته بإخوانه بني الإنسان أفرادًا وأُسرًا ومجتمعات ودولًا.

كلَّا، إنَّ الإسلام عقيدة شاملة، ينبثق عنها نظام عالمي كامل، تقوم على أساسه أمَّة عالميَّة متوازنة، أبرز سماتها ما وصفها به القرآن: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مزايا العقيدة الإسلاميَّة

وللعقيدة الإسلاميَّة مزايا وخصائص لا تتوافر لغيرها من العقائد الدينيَّة، فهي عقيدةٌ واضحة بسيطة لا تعقيد فيها، تتلخَّص في أنَّ وراء هذا العالم المُنَسَّق البديع المحكم ربًّا واحدًا، خلقه ونظَّمه، وقدَّر كُلَّ شيءٍ فيه تقديرًا، وهذا الربُّ والإله ليس له شريكٌ ولا شبيهٌ، ولا صاحبةٌ ولا ولد، بل: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

وهذه عقيدة واضحة مقبولة، فالعقل دائمًا يطلب الترابط والوحدة وراء التنوع والكثرة، ويريد أنْ يرجع الأشياء دومًا إلى سبب واحد، والواقع المطرد يثبت أبدًا أن تعدد الإرادات لا ينتج عنه أثر متكامل أو نظام متَّسق، والقرآن يقرر هذه الحقيقة فيقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وهي عقيدة ليست غريبة عن الفطرة، ولا مناقضة لها. بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وهي عقيدة ثابتة محددة، لا تقبل الزيـــادة والنقصان، ولا التحريف والتبديل، فليس لحاكم من الحكام، أو مجمع من المجامع العلميَّة، أو مؤتمر مـــن المؤتمرات الدينيَّـــة، أن يضيف إليها، أو يحـــور فيها، وكل تحوير أو إضافة مردود على صاحبه، ونبي الإسلام يقول: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهـــو ردٌّ**»[1] أي مردود عليه، والقـــرآن يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. وعلى هذا فكل البدع والخرافـــات، والإضافات الَّتي لصقت بعقائد المســـلمين أو دسَّت في بعض كتبهم، أو أشـــيعت بين عامتهم باطلة مردودة، لا يقرها الإسلام، ولا تؤخذ حجَّة عليه.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

شبهات حول العقيدة «الجبر والاختيار»

مسألة الجبر والاختيار، مسألة حار العقل البشري في الوصول إلى رأي قاطع فيها، وتنازع فيها الفلاسفة، وعلماء الأخلاق والنفس والتربية وغيرهم، منذ تفلسف الإنسان وبحث إلى اليوم.

وعقيدة الإسلام في هذا هي: العقيدة المتوازنة المطابقة للفطرة السليمة والواقع المشاهد.

فالإنسان بالنسبة لهذه العقيدة، حرٌّ مسؤول عن نفسه وعمله ـ في دائرة أعماله الاختيارية ـ له أنْ يقدم وله أن يحجم، كما تشهد بذلك بديهته وإحساسه، وكما تشهد نصوص القرآن نفسه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٩]، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، إلى غير ذلك من آيات تبلغ الستين أو تزيد، كلها تقرر حرية الإنسان، وكسبه، ومسؤوليته عن عمله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٨ ـ ٤١].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولم يكتفِ القرآن بهذا التقرير الإيجابي، ولكنَّه زاد على ذلك فحمل بقسوة على الجبريين الَّذين يلقون بشـركهم وأوزارهم على كاهل القدر محتجين بمشيئة الله تعالى في فعل ما فعلوا، أو ترك ما تركوا.

وفي أربع سـور من القرآن يرد الله تعالى على هذا الزعم الباطل في سورة الأنعام: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ۞ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩].

وفي سورة النحل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

وفي سـورة يـس: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ٤٧].

وفي سورة الزخرف: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

وبهذه الردود الصريحة على الجبرية من القدماء، ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ٤٧]، ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]. عرف موقف القرآن الحاسم من مشكلة الإرادة الإنسانيَّة والإرادة الإلٰهيَّة.

QaradawiBooks.com

بيد أنَّ الإنسان ـ كما هو الواقع ـ ليس مطلق الإرادة، كامل الاختيار بحيث يفعل كل ما يشاء وينفذ كل ما يريد، ولو فعل لكان إلهًا.

ولم يستطع أحد ـ مهما بلغ في الانتصار للحرية الإنسانيَّة ـ أن ينكر محدوديَّة الإرادة البشريَّة، فحكموا فيها الوراثة أو البيئة أو كليهما، وعبر عن ذلك بعض الفلاسفة بقوله: «الإنسان حرٌّ في مَيْدانٍ من القيود».

حتَّى أولئك الماديُّون الجدليُّون قيَّدوا الإنسان بوسائل الإنتاج وظواهر الاقتصاد؛ فهي الَّتي تكيف تفكيره وسلوكه، وتوجه سير أحداثه، وبذلك نزلوا بالإنسان إلى أحطِّ مستوى من الجبريَّة حين جعلوه عبدًا خاضعًا لمظاهر المادَّة، لا سيدًا مهيمنًا عليها، كما يُقَرِّر الإسلام.

هذه الحقيقة المُتَّفق عليها ـ محدودية الإرادة البشريَّة ـ قرَّرها الإسلام في صورة أشرف وأكرم للإنسان من الجبرية المادِّيَّة أو التاريخيَّة، فالإنسان في عقيدة الإسلام حرٌّ مختار في دائرة ما رسم الله للوجود من سُنِن يُجْريها بقدرته ومشيئته، ووفق علمه وحكمته، على أجزاء الكون كله، ومنها هذا الإنسان.

الإنسان إذن حرٌّ؛ لأنَّ الله أراد له الحرية، أو هو يشاء؛ لأنَّ الله قدر له أنْ يشاء: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ولا عجب أنْ يذكر القرآن ـ بجانب حُرِّيَّة الإرادة الإنسانيَّة ـ عمل الإرادة الإلٰهيَّة، وهيمنة القدر الأعلى، الَّذي يرعى الإنسان والكون جميعًا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠].

QaradawiBooks.com

وإيمان المسلم بقدر الله ليس إيمانًا بعقيدة جبرية ولا بمذهب أهل الصدفة والاتفاق، وإنَّما هو إيمان بأنَّ الكون لا يمشي بغير غاية، ولا يسير بغير تدبير، كيف وكل ذرَّة من ذراته في الأرض أو في السماء يحيط بها علمه، وتجري عليها مشيئته وقدرته، وفق حكمته البالغة، ورحمته الواسعة، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

هذا والإيمان بالقدر على هذا النحو لا ينافي الاجتهاد في العمل، واتخاذ كل ما يمكن من أسباب، فإنَّ الله كما كتب المسبَّبات كتب الأسباب، وكما قدَّر النتائج قدَّر المقدِّمات، فهو لا يقدّر للطالب مثلًا النجاح فحسب، بحيث يصل إلى هذه النتيجة عمل أو لم يعمل، ولكنَّه ـ تعالى ـ قدّر له النجاح، بوسائله من جدٍّ وحرصٍ وانتباهٍ ووعيٍ وصبرٍ ومداومةٍ إلى آخر هذه الأسباب، فهذا مقدَّر مكتوب وذاك مقدَّر مكتوب.

وإذن فالأخذ بالأسباب لا ينافي القدر، بل هو من القدر أيضًا، ولهذا حين سئل ﷺ عن الأدوية والأسباب الَّتي يُتقى بها المكروه: هل تردُّ من قدر الله شيئًا؟ كان جوابه الفاصل: «**هي من قدر الله**»[(١)].

ولمَّا انتشر الوباء في بلاد الشام قرَّر عمر بمشورة الصحابة، العدول عن دخولها والرجوع بمن معه من المسلمين، فقيل له: أتفرُّ من قدر الله يا أميرَ المؤمنين؟ قال: نعم، أفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيتَ إن نزلت

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.

QaradawiBooks.com

بُقْعَتَيْن من الأرض إحداهما خصبة، والأخرى جَدْبة، أليس إنْ رعيتَ الخصبةَ رعيتَها بقدر الله، وإنْ رعيتَ الجدْبة رعيتَها بقدر الله[1]؟

والرسول ﷺ ـ وهو أقوى الناس إيمانًا بقدر الله ـ كان أكثر الناس اتِّخاذًا للأسباب وعملًا بمقتضاها، فقد أخذ الحذر، وأعدَّ الجيوش، وبعث الطلائع والعيون، ولبس المغفر على رأسه، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة، إلى آخر ما نعرف من سيرته ﷺ وسيرة أصحابه المهتدين.

ومع وضوح هذه القضية في الإسلام على نحو ما رأينا قولًا وعملًا، ونظرًا وتطبيقًا، فإنَّ النبي ﷺ من الناحية العملية كمربٍّ وقائد وإمام أمر الصحابة ـ سدًّا للذريعة ودرءًا للفتن ـ أن يغلقوا أبواب الجدل العقيم حول المسائل الشائكة، الَّتي حارت فيها العقول من قديم، وهدى الوحي الإلٰهي الناس فيها إلى القَدْر الَّذي فيه نفعهم في الدين والدُّنْيا، ومنها «مسألة القدر».

قال الشيخ مُحَمَّد عبده: «ولكن واأسفاه، نَتَأت رؤوسٌ بين المسلمين كأنَّها رؤوس الشياطين... جاء الموالي من عجم الفرس والرومان، ولبسوا لباس الإسلام، وحملوا إليه ما كان عندهم من شقاق ونفاق، وأحدثوا في الدين بدعة الجدل في العقائد، وخالفوا الله ورسوله في النَّهي عن التكلم في القدر، وخدعوا المسلمين ببهرج القول، وزوَّروا الكلام حتَّى كان ما كان من تفرُّق المسلمين شيعًا، والله يقول لنبيِّه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٢٩)، ومسلم في السلام (٢٢١٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وجد بين المسلمين طائفة تعرف «بالجبريَّة»، ولكنها كانت ضعيفة ضئيلة يعذلها الحق، ويطردها العقل، وينبذها الدين، حتَّى انقرضت بعد ظهورها بقليل، وغلب على المسلمين مذهب التوسط بين الجبر والاختيار، وهو مذهب الخير والعمل وصدق الإيمان، إلخ[١].

* * *

(١) انظر: الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده (٣/٢٢٥ ـ ٢٢٦)، تحقيق د. محمّد عمارة، نشر مكتبة الأسرة المصرية، ٢٠٠٨م ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

حول الآخرة والإيمان بها

يثير بعض الماديين المتحذلقين غبارًا حول ما ذكره القرآن، بل الكتب السماوية جميعًا عن انتهاء هذه الحياة، وقيام الساعة، ويوم الجزاء والجنة والنار.

وكان ممَّا أثاره هؤلاء أنَّ القرآن يقول: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقد مضى أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، ولم تقم الساعة بعد، ونسي هؤلاء أو تناسوا أنَّ القرب والبعد مسألة نسبية، وألف عام أو أكثر ليس إلَّا زمنًا يسيرًا وعهدًا قريبًا بالنسبة لعمر الدنيا، وخاصَّة إذا عرفنا ما يقوله علماء الجيولوجيا الَّذين يقدِّرون عمر الأرض بالملايين من السنين والقرون، ونضيف إلى هذا أنَّ محمدًا خاتم الأنبياء، وأنَّ رسالته هي الكلمة الأخيرة من الله للناس. وبذلك يكون معنى القرب واضحًا، فلا نبي بعده، ولا رسالة بعده حتَّى تقوم الساعة.

أمَّا الحياة الآخرة فهي نشأة أخرى، يستوفي فيها كل عامل جزاء عمله بالعدل التام والقسط الأوفى، فكثيرًا ما تقصر الحياة الأولى أن تكافئ الأخيار بما قدموا، أو تجزي الأشرار بما أسرفوا، والإيمان بوجود إلٰه عادل حكيم يستوجب وجود هذه الدار

QaradawiBooks.com

الأخرى، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨].

والإيمان بدار الجزاء والخلود ليس معناه اطِّراح الدنيا، واستدبار الحياة، والعيش فيها عيشة التواكل والتمني الفارغ. كلّا، فإنّ استحقاق السعادة في الآخرة لا ينال إلَّا بالعمل الدائب والجد المتواصل، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

وحسبنا في هذا أنَّ رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ما فهموا الحياة ولا عاشوها إلَّا سعيًا وكفاحًا، وضربًا في الأرض، وسعيًا في كل مَيْدان من ميادين الحياة، لم يقعدوا ولم يكسلوا انتظارًا للجنة وما فيها من نعيم، وللآخرة وما فيها من راحة، كيف وقرآنهم يقول: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نظام الإسلام

والنظام الإســلامي لا يقتصــر على ناحيــة من نواحــي النفس أو المجتمع أو الحياة، أو يهتمُّ بها على حســاب غيرها. كلَّا إنَّه يشمل كل النواحي وينظم كل العلاقات الروحيَّة والماديَّــة، الفرديَّة والاجتماعيَّة، ويقيمها جميعًا على أســاس من التوازن والعدل فيما بينها بالقســطاس المستقيم، فلا يُطغي المادَّة على الروح، كما هو سمة اليهودية، ولا يهضم جانب المادَّة من أجل الروح كما هي دعوى النَّصْرانيَّة، ولا يُطغي الفرد على حســاب المجتمع كما هو نظــام الرأســماليَّة، ولا المجتمع على حساب الفرد كما هو الشأن والواقع في الشيوعيَّة.

ذلك أنَّ هذا النظام لم يأتِ نتيجة ثورة جامحة كانت رد فعل لأوضاع جائرة، فقاومت التطرف في اليمين بالتطرف في اليســار، كما هو الشأن في الثورات الَّتي جمحت دائمًا وجاءت بأنظمة شكا الناس منها وعدلوها بعد زمن قليل.

ولم يضع هذا النظام فــرد أو مجموعة أفراد من البشــر تحكم عليهم مواريثهم وبيئتهم وظروفهــم وثقافتهم ـ فضلًا عن أهوائهم وشــهواتهم ـ فيتجهون بالنظام الَّذي يضعونــه وجهة ذاتية توافق تكوينهم الشــخصي، وظرفهم الزمني، ووضعهم الإقليمــي، ونزوعهم القومي. ولذلك لا يلبث

QaradawiBooks.com

الناس بعد حين أنْ يتبينوا نقصًا أو انحرافًا فيما وضعوا أو وُضع لهم من نظام، فيقومون أو يطالبون بالتغيير والتعديل والتبديل. أمَّا نظام الإسلام فواضعه هو الله رب الناس ملك الناس إلٰه الناس، لا يتحيز لجنس على جنس، ولا لطبقة على طبقة، ولا لجيل على جيل؛ لأنَّهم جميعًا عباده وهو رب العالمين، كما أنَّه تعالى لسعة علمه لا تخفى عليه مصلحة، ولسعة رحمته لا يريد لعباده عسرًا ولا عنتًا، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

عبادة الله وحده

وأول ما شرعه نظام الإسلام هو تنظيم العلاقة بين الله وبين عباده. فإنَّ العباد لم يخلقوا أنفسهم، ولا أنشؤوا في الأرض أو في السماء شيئًا ممَّا حولهم من نعم غامرة، ورحمة سابغة، فحق الخلق لهم، والإنعام عليهم، والتكريم لهم على من سواهم من الخلق، يقتضيهم أنْ يقوموا بشكر ربهم ويعرفوا له حقه، فيعبدوه وحده لا شريك له، ويخلصوا له الدين، هذا ما تنادي به الفطرة السليمة، وهو عين ما جاء به الإسلام: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقد نقَّى الإسلام العبادة ممَّا ألصقها به أهل الملل والنِّحل المختلفة، من طقوس شركيَّة، ووساطات زعموها بين الله وعباده، وابتداعات وثنيَّة لم يأذن بها الله، فالصلاة اتجاه إلى الله وحده، لا يتوقف على إذن كاهن، ومكان خاص، فالأرض كلها مسجد، وأيما رجل مسلم أدركته الصلاة أذَّن وكبَّر وصلَّى.

والإمام في صلاة الجماعة ـ الَّتي فضَّلها الإسلام على صلاة الفرد بدرجات كبيرة ـ ليس رجل كهنوت، وإنَّما هو واحد منهم، يقدمونه لعلمه أو صلاحه، يستمعون له إذا قرأ، ويصححون له إذا أخطأ. ومَرَدُّ

QaradawiBooks.com

القبول في صلاة الجميع إلى الله وحده، الَّـذي يعلم الصادق من غيره، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وهذه الصلاة الإسلاميَّة بكيفيتها ومواقيتها وشروطها، وما يتلى فيها من أقوال، وما يؤدَّى فيها من أعمال، لم تعـرف لدين ولا لمذهب من قبل، إنَّها الصلة اليومية للمسلم بربِّه، هي طهارة للجسد، وزكاة للنفس، وتربيـة للخلق، وتنميـة للوازع الأدبـي، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

كما أنَّها بما شـرع فيها من جمعة وجماعة، ربـاط اجتماعي وثيق، ومدرسـة يتعلم فيها المسـلم بطريقة عملية: النظام والإخاء والمساواة، وهي بما اشترط لها من اسـتقبال قبلة واحدة: تعلم المسلمين في أنحاء الأرض وحدة الغاية والفكرة والاتجاه.

والحج رحلة يتجه فيها المسـلم بدينه وقلبه إلى بيت جعله الله رمز التوحيد والوحدة: ذلك البيت الَّذي بناه إبراهيم الخليل محطم الأصنام، وهادم الشرك والوثنيَّة وأبو الأنبياء والمرسلين، والذي أمره الله بالتأذين بالحج في النـاس: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۞ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾ [الحج: ٢٦ ـ ٢٨].

لكن هذه العبادة الَّتي وضع أساسها إبراهيم خالصة لله، لم يلبث كرُّ الأيام ومرُّ السـنين أنْ بعد بالناس عن شـرع الله فيهـا، وجرَّهم الجهل والهوى والخرافة، فاتخذوا من دون الله أوثانًا وضعوها في بيت التوحيد، وبدلوا في شعائر الحج ومناسكه، فطافوا بالبيت عرايا، وقدَّموا القرابين

QaradawiBooks.com

للأصنام وخلطوا ما بقي من التوحيد بما ابتدعوا من شرك، فكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلَّا شريكًا هو لك تملكه وما ملك. يعنون بهذا الشريك أصنامًا لهم.

جاء الإسلام والقوم على هذه الحال فمحا معالم الشرك وحطَّم النبي بيده الأصنام الَّتي نصبوها حول الكعبة ـ يوم الفتح ـ وهو يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وخلصت الكعبة للتوحيد، وردَّ النبي ﷺ الحج إلى ما كان عليه في عهد أبيه إبراهيم، وخلَّصه من آثار الوثنيَّة الجاهليَّة، وأصبح شعار الحجِّ: «**لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، لبَّيْكَ لا شريك لك لبَّيْكَ**»[(١)].

وما ربط الله شعائر الحج بأماكن معينة في البلد الحرام مكَّة إلَّا لأنَّها أرض الذكريات وميراث إبراهيم، ونبت الدعوة، فهي وصلة بين قديم المؤمنين وجديدهم. وما يقوم به المؤمنون من أعمال في الحج إنَّما هي رموز لها دلالتها وإيحاءاتها في أنفسهم، مجردة من أي قصد ذاتي لها إلَّا قصد التعبد باتباع ما أمر، وأداء ما أوجب، وقديمًا وقف عمر أمام الحجر الأسود وقال: أيها الحجر، إنِّي أقبلك وأنا أعلم أنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك[(٢)].

أفيقال بعد هذا: إنَّ المسلمين إنَّما يحجون إلى حجر أسود أو أحمر يسجدون له ويتبركون به؟

إنَّما كان الحج قذى في عين أعداء الإسلام؛ لأنَّه المؤتمر الإلٰهي الجامع، الَّذي يتنادى إليه المسلمون من كلِّ فجٍّ وصوب، فيربط بين

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٩١٥)، ومسلم في الحج (١١٨٤)، عن ابن عمر.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٦٠٥)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

QaradawiBooks.com

قلوبهم برباط الأخوة الإسلاميَّة العامَّة، ويذكرهم بوحدة الهدف، ووحدة الآمال والآلام، ويوحي إليهم أن يعملوا ويتعاونوا ليعودوا من جديد خير أمَّة أخرجت للناس، وهذا ما تغصُّ به حلوق أعداء الإسلام!

وحسبنا هذه الكلمة الموجزة في هاتين العبادتين، وهي كافية في التعبير عن روح الإسلام في تنظيم العلاقة بين الله والناس.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

العلاقات الإنسانيَّة

ولننظر الآن كيف نظم الإسلام العلاقات بين الناس، هل أيَّد الإسلام الإقطاعيين؟ هل أقرَّ الظلم الاجتماعي؟ هل أعـــان طبقة على طبقة، أو قويًّا على ضعيف؟ هل ترك المجتمع تتحكم فيه الفوارق المصطنعة من عنصرية أو وراثة حسب أو جاه؟

ذلك ما نجيب عنه في الصفحات التالية:

إنَّ أدنى دراسة لتعليم الإسلام تبيِّن أنَّه ليس دين طبقة خاصة أو فئة معينة، إنَّما هو دين قامت أسســه الاجتماعيَّة على: الأخــوة، والعدالة، والمساواة، وضح ذلك في شعائره وعباداته، كما وضح ذلك في أنظمته الاقتصاديَّة والسياسيَّة.

العلاقة بين الأغنياء والفقراء:

اعترف الإســلام بالتفاوت الفطري المعقول في الأرزاق بين الناس، إذ قبل ذلك ثبــت تفاوتهم الفطري في القــدرات والمواهب والملكات والطاقات.

والإسلام ـ كدين يعترف بالفطرة ويســمو بها ولا يقاومها ـ اعترف بالملكية الفردية الناشئة عن سبب مشروع، ليشبع بذلك الدوافع البشريَّة الفِطْريَّة في حب التملك والمنافسة والادخار.

QaradawiBooks.com

ولكن الإسلام لا يحترم الملكية الفردية، إذا نشأت عن سبب غير مشروع، كالغصب، والسرقة الجلية، أو الخفية، كالهدايا للحكام، واستغلال النفوذ، وأخذ الرشوة، والتحايل على أكل أموال الناس بالباطل، بل يصادر هذه الملكيات مهما طال عليها الزمن، واختلف الليل والنهار، فطول الزمن لا يبيح المحظور، ولا يقلب الحرام حلالًا.

والإنسان في الإسلام ليس مالكًا حقيقيًّا، يتصرَّف في ماله كيف يشاء، لا، فالمال مال الله. ومعنى هذه العبارة أنَّه مال الجماعة، والغني موظف على رعايته وتنميته، وإنفاقه بما يوافق صالح الجماعة لا بما يضارها، فهو مستخلف على المال، ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

فالملكية إذنْ: وظيفة اجتماعيَّة، والغني إذنْ مطالب إزاء مجتمعه بواجبات مالية أدناها الزكاة، وهي ليست تبرعًا ولا إحسانًا يعطيه الغني للفقير فيشعر بالاستعلاء، ويشعر الفقير بالمذلة والهوان، بل هي حق معلوم، وضريبة مفروضة، تأخذها الحكومة بواسطة «الجباة» العاملين عليها، وتنفقها على المحتاجين أو على المصالح العامَّة، ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠].

والزكاة ليست تعليمًا فرعيًّا أو ثانويًّا من تعاليم الإسلام، بل هي ركن من أركانه، وأصل من أصوله، لا يكون الفرد مسلمًا إلَّا بأدائها، ولا تكون الدولة مسلمة إلَّا بالعمل على تحصيلها وجبايتها.

وقد حدَّثنا التاريخ أنَّ أرباب المال من العرب عزَّ عليهم دفع هذه الزكاة، فأبى أبو بكر أن يقبل أي تهاون في حق الفقير، وجهز أحد عشر

QaradawiBooks.com

لواءً لمحاربة الرأسماليين الأشرار، وقال كلمته المشهورة: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[١].

وقد أشاع بعض المغرضين كلامًا مرذولًا حول بيت المال الَّذي تجمع فيه الزكاة والموارد الأخرى للدولة الإسلاميَّة، زاعمين أنَّ هذا المال إنَّما يجمع للخلفاء والسلاطين، وأنَّ بيت المال إنْ هو إلَّا خزينة خاصة ينفقون منها كيف شاؤوا دون معقب أو محاسب.

والحقُّ الَّذي يعرفه كل مَن درس شريعة الإسلام وتاريخه، أنَّ بيت المال ليس ملكًا للخليفة، وإنَّما هو ملك للأمة جميعًا، والخليفة إنَّما هو خازن أمين، ليس له منه إلَّا راتبه المعروف، كما قال أبو بكر: أعطوني كأوسطِ رجلٍ من قُرَيْش ليس كأوكسهم ولا أعلاهم. ذلك أنَّ أبا بكر نزل صَبِيحة بُويعَ الخلافة إلى السوق كعادته ليتاجر، ويقوت نفسه وأهله، فلقيه عمر فقال له: إلى أين؟ قال: إلى السوق. قال عمر: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: من أين أطعم عيالي؟! فقال عمر: انطلق يفرض لك أبو عبيدة أمين بيت المال. فانطلق إلى أبي عبيدة، فقال للخليفة: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم، وكسوة الشتاء والصيف، إذا أخلقت شيئًا رددتَه وأخذت غيره[٢].

وقال عمر: إنَّما أنا وهذا المال، كوليِّ اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرتُ أكلت بالمعروف[٣].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١٨٤/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر بيروت، ط١، ١٩٦٨م. وقال ابن حجر في فتح الباري (٣٠٥/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: رجاله ثقات مرسلًا. عن عطاء بن السائب.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في السير (٣٣٥٨٥)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٥١/١٣): سنده صحيح.

QaradawiBooks.com

وأبى علي بن أبي طالب أن يأخذ من بيت المال شـيئًا لنفسـه وأهله.

هذا هو مسـلك الراشـدين من حكام المسـلمين وخلفائهـم، أمَّا انحرافات بعض الحكام فليست حجَّة على الإسلام ولا يسأل عنها.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإسلام يقيم التوازن بين الأغنياء والفقراء

واعتراف الإسلام بالتفاوت الطبيعي في الرزق، ليس معناه أنْ يدع الغني يزداد غنى، والفقير يزداد فقرًا، بل تدخل بتشريعه القانوني، وتوجيهه الأخلاقي لتقريب الشُّقة بين الأغنياء والفقراء، فحدَّ من طغيان أولئك، ورفع من مستوى هؤلاء، حرَّم على الأغنياء الكسب بالباطل، وحظر عليهم الربا قليله وكثيره، جليه وخفيه، واعتبر آكل الربا محاربًا لله ولرسوله، ولعن كل مَن شارك في أمر الربا؛ لأنَّه امتصاص الضعفاء لحساب الأقوياء، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، لعن رسول ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه[(١)].

وحرَّم عليهم الاحتكار الَّذي هو سمة الرأسماليَّة الجشعة، وأعلن رسول الإسلام: «**الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون**»[(٢)].

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (٣٧٣٧)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه ابن ماجه في التجارات (٢١٥٣)، وعبد بن حميد (٣٣)، والدارمي في البيوع (٢٥٨٦)، والبيهقي في البيوع (٣٠/٦)، وقال: تفرد به علي بن سالم عن علي بن زيد. قال البخاري: لا يُتابَع في حديثه. وضعف إسناده ابن حجر في التلخيص الحبير (١١٥٦)، وضعَّفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٤٧١)، وحسَّنه ابن كثير في مسند الفاروق (٣٤٨/١)، عن عمر.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وحرَّم عليهم السرف والتبذير، وجعل للحاكم سلطة الحجر على المبذرين السفهاء، ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء: ٥]، ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧].

وحرَّم عليهم ألوان الترف الَّذي يفسد الأفراد والأمم، فالخمر ممنوعة، وأواني الذهب والفضة محظورة، ولبس الذهب والحرير للرجال مُحرَّم، ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، «**من شَرِبَ في آنية ذهبٍ أو فضَّة، فإنَّما يُجَرْجر في بطنه نارَ جَهَنَّم**»[(١)].

ثُمَّ حرَّم الكَنْز، وأنذر القرآن الكانزين بوعيد تنخلع له القلوب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، ولم يحارب الكنز بالقول، بل بالعمل، فالزكاة محاربة عملية لكلِّ مال يكنز، إذ ينقص منه كل عام (٢,٥٪) اثنان ونصف في المائة، فإن لم يعمل ويستثمر استهلكته الزكاة.

وبهذه الأساليب من تحريم للربا والاحتكار، والسرف والترف من جانب، ومحاربة للكنز وإيجاب للزكاة من جانب آخر، أصبح مفروضًا على صاحب المال أنْ يوجه ماله إلى الاستثمار المشروع، والنماء لمنفعة الجماعة، فيتحقق التوازن العادل الَّذي يريده الإسلام ويشير إليه قوله تعالى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٦٣٤)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٥)، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

ومن ناحية أخرى أتاح الإسلام الفرص المتكافئة للفقراء ليقفوا على قدم المساواة مع الأغنياء، فباب العمل والكسب مفتوح للجميع، ليس محتكرًا لطائفة ولا مسدودًا أمام أحد، فمَن أحيا أرضًا ميتة فهي له[1]، ومن طرق باب تجارة فربْحُها له، ومن عثر في باطن الأرض على ركاز يدفع الخمس منه والباقي له.

ومَن لم يجد عملًا وجب على ولي الأمر أن يهيئ له عملًا، فإن لم يهيئ له، أو كان عاجزًا عن العمل، أو كان أجره عن عمله لا يكفيه كان واجبًا على ولي الأمر أنْ يرعاه، ويهيئ له ما هو حق كلِّ مسلم أو ذمِّي في ظل دولة الإسلام، من مأكل ومشرب وملبس في الصيف وملبس للشتاء، ومسكن يكنه ويأويه كما قرَّر فقهاء الإسلام.

وللحاكم إذا لم تكفِ الزكاة، والموارد العادية لسد هذه الحاجات أنْ يفرض على أغنياء المسلمين الضرائب الكافية الَّتي تقيم مصالح المسلمين. وقد قرر علماء المسلمين هذا المبدأ: إذا احتاج المسلمون فلا مال لأحد. وقد اتخذ الإسلام طرقًا مثمرة في تفتيت الثروات، أبرزها تشريع الميراث، الَّذي يوزع ثروة الرجل الواحد بين زوجته وأبويه وأولاده جميعًا، أو عصبته، أو ذوي أرحامه توزيعًا عادلًا حكيمًا، شمل الذكور والإناث، لا الذكور فقط، كما كان يفعل العرب في الجاهلية، ولا الابن الأكبر فحسب، كما تصنع بعض الدول اليوم كإنجلترا مثلًا.

* * *

(١) رواه أحمد (١٤٨٣٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الأحكام (١٣٧٩)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٥)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأغنياء في الإسلام ليسوا طبقة

ونظام الإسلام يتَّسع للأغنياء كأفراد يجمعون الثروات من حِلِّها وينفقونها في حِلِّها، ولا يبخلون بها عند الحاجة إليها، يتَّسع لهم كأفراد لا كطبقة لها مزايا شرعية، أو حقوق قانونية، أو سيادة اجتماعيَّة يتوارثها الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، فجميع الناس أمام الله وكتابه وأمام القانون سواء، لا يتفاضلون إلَّا بمقدار وفائهم لإنسانيتهم، وإيمانهم بالله، واحترامهم لحقوقهم العامَّة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]، الناس سواسية كأسنان المشط.

وإذنْ فالأغنياء إنَّما هم أفراد يثرون بجهدهم ونشاطهم، وقد لا يدوم لهم الثراء، بل قد ينقص أو ينتقل ميراثه إلى غيرهم، فالفقر أو الغنى في المجتمع الإسلامي ليس شيئًا ثابتًا مؤبدًا، بل هو أمر دائم التغيُّر بتغيُّر ظروف الحياة، وفرص الكسب، وقوانين الميراث.

ليس في الإسلام إذنْ طبقات بهذا المعنى الَّذي كان معروفًا في الغرب، بمعنى طبقية لها مزاياها وحقوق متوارثة كطبقة الحكام وطبقة الأشراف، أو النبلاء وطبقة الفرسان وطبقة رجال الدين، إلخ.

QaradawiBooks.com

الحكام أفراد تختارهم الأُمَّة بواسطة أهل الحلِّ والعقد فيها أو بأي وسيلة تختارها، وليسوا من فئة أو أسرة معينة، بل قال الرسول ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإنْ تأمر عليكم عبد حبشي يقودكم بكتاب الله**»[١]. وقال عمر بن الخطاب قبيل وفاته: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا لاستخلفته[٢].

ونظام توارث الحكم والخلافة نظام دخيل على الإسلام، فلا يقرُّه ولا يعترف به.

والفقهاء في الإسلام ليسوا طبقة كهنوتيَّة كرجال الأديان الآخرين، وإنَّما هم علماء مُتَخَصِّصون في دراسة الإسلام: عقيدته وتشريعه وأخلاقه، فهم في الحقيقة علماء دين، وعلماء قانون، وعلماء أخلاق واجتماع، وليسوا واسطة بين الله وعباده، ولا هم يملكون مفاتيح الجنة، ولا هم باعة لصكوك المغفرة والرضوان.

لا طبقات إذن في الإسلام بالمفهوم الغربي لهذه الكلمة، وإذا سمَّى بعض الناس الأفراد الأغنياء في دولة الإسلام طبقة فلا ضير في التسمية إذا وضحت المسميات، فقد قسَّم بعض الباحثين الناسَ إلى ثلاث طبقات: غنية، وفقيرة، وميسورة، وهو تقسيم على وجه التقريب والتشبيه، كتقسيم الناس إلى أبيض وأسود وأصفر من حيث اللون. ووجود الطبقة بهذا المعنى أمرًا اقتضاه نظام الوجود كله، الَّذي قضى بالاختلاف والتفاوت حتَّى بين النباتات والجمادات، فما بالنا

(١) رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٢)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٧/٤)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

بالإنسان، وبين أفراده من التفاوت ما لا يوجد في أي نوع من الأنواع الأخرى للكائنات؟!

ولقد كان الإسلام دين الفطرة والواقع حقًّا حين اعترف بالتفضيل الموجود فعلًا في كل بلاد الدنيا ـ رأسمالية أو شيوعية ـ قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [النحل: ٧١]، ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣٢].

وإذا كان هذا صنع الله؛ فالله لا يصنع شيئًا عبثًا، إنَّما صنعه لحكمة بالغة، والحكمة هنا كما ذكر القرآن أمران:

أوَّلهما: الابتلاء الَّذي على أساسه يقوم التكليف والجزاء: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثانيهما: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وهذا ليس تسخير القهر والإذلال كما يوهمه المدلول العرفي للكلمة، إنَّما هو تسخير النظام والمصلحة المشتركة. فلو كانت الحياة مصنعًا لم يكن صلاحه أنْ يكون كل العاملين فيه مديرين أو مهندسين، بل لا بدَّ من المدير والمهندس والكاتب والعامل والخفير.

وإذا كان التفاضل في الرزق لا يمنح صاحبه ميزة أو مرتبة دينية أو تشريعية في المجتمع المسلم، فإنَّ التفاضل الحقيقي المعترف به، هو التفاضل في مجال العلم والإيمان والعمل: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]، ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

QaradawiBooks.com

وهكذا أقام الإسلام العلاقة بين الغني والفقير على أساس العدل والمساواة والإخاء، فهو يسوي بين الجميع في الحقوق والواجبات العامَّة، ويتيح الفرصة للجميع ليتكسبوا.

ويقول للأغنياء بعد هذا: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ويقول لولي الأمر: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

ويقول للفقير: لا تحقد ولا تحسد، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

ثم يقول للجميع: «**كونوا عباد الله إخوانًا**»[(١)].

وكذلك فإنَّ الإخاء يسود المجتمع الإسلامي كلَّه، فلم يحقد فقير على غني، ولم يبغِ غني على فقير، وشعر الغني أنَّ الفقير أخوه، وشعر الفقير أن مال الغني ماله.

فلا عجب أنْ رأينا بلال بن رباح، وعمار بن ياسر، وأبا هريرة، وأهل الصفة يعملون جنبًا إلى جنبٍ مع عثمان بن عفان، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن عبادة، لا يشعرون إلَّا بالحب والتعاون والإخاء.

ومن السهل بعد هذا أن نعرف إذا كان الإسلام يشجع الطبقيَّة، أو يعترف بالإقطاع والإقطاعيين!

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نظرة الإسلام إلى الرق

جاء الإسلام فوجد العالم كله يعترف بنظام الرقيق: رق الأسرى في الحروب، ورق السبي في إغارات القبائل بعضها على بعض، ورِق الاستدانة أو الوفاء بالديون.

فماذا كان موقفه؟ لم يرد نصٌّ واحد بالاسترقاق، على حين وردت عشرات النصوص تدعو إلى العتق[1]، وتفتح أبواب التحرير للرقاب، ولم تدعه للأفراد وحدهم يكفرون به عن خطاياهم، أو يتقربون به إلى ربهم، بل جعله واجبًا على الدولة تساهم به من مال الزكاة: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠].

ولم يقتصر على فتح أبواب العتق، بل قبل ذلك سدَّ كل ما يمكن سده من منافذ الاسترقاق، ولم يُبقِ منه إلَّا ما أبقاه العالم المتحضر الآن، فإنَّ الأمم الَّتي اتفقت على معاهدات منع الرق: تبيح الأسر، واستبقاء الأسرى إلى أنْ يتمَّ الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى، على افتداء بعضهم بالغرامة أو التعويض.

أمَّا في عصر الدعوة الإسلاميَّة فلم تكن دولة من الدول تشغل نفسها بهذا الواجب نحو رعاياها المأسورين. وإذا كان ارتباط الأسرى ضربة

(١) العتق، التدبير، المكاتبة، الكفارات، أمهات الأولاد، مَن ملك ذوي رحم محرم.

نسخة مجانية

لازب في الحروب الحديثة، فالإسلام لم يجعله حتمًا مقضيًّا في جميع الحروب، وحرص على التخفيف من شدته ما تيسر التخفيف منه، وجعل المن في التسريح أفضل الخطتين: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

وشريعة تجعل الرقَّ في أضيق نطاق وتوسع مجالات التحرير، وترفع من شأن الرقيق فتجعله عضوًا في الأسرة «**إخوانكم خَوَلكم**»[(١)]، لا يمكن أنْ توصف بأنها تشجِّع الرق أو ملاك الرقيق، إنَّما هي في الحقيقة جاءت لتقوم بتصفية هذا النظام في العالم بتدرج حكيم وخطة مثلى، فلم يكن من السَّهل إلغاء نظام تغلغلت جذوره في الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في يوم وليلة، فإنَّ الزمن جزء من العلاج.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٤٥)، ومسلم في الإيمان (١٦٦١)، عن أبي ذر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

علاقة الحاكم بالمحكوم في الإسلام

الأمَّة في الإسلام هي الحاكمة وهي صاحبة السلطة، هي الَّتي تختار حاكمها وهي الَّتي تشير عليه، وهي الَّتي تنصح له وتعينه، وهي الَّتي تعزله إذا انحرف أو جار.

والخليفة في الإسلام ليس نائبًا عن الله، ولا وكيلًا له في الأرض، إنَّما هو وكيل للأمة ونائب عنها.

والخلفاء الراشدون لم يكونوا خلفاء عن الله، بل خلفاء لرسول الله في حكم الأمة بما أنزل الله، وسياستها بما أمر الله ورسوله.

أخرج الإمام أحمد، عن ابن أبي مُلَيْكة، قيل لأبي بكرٍ: يا خليفةَ الله. قال: أنا خليفةُ رسولِ الله، وأنا راضٍ به[1].

والحكومة في الإسلام ليست حكومة «دينيَّة»، بالمعنى المعروف في الغرب؛ لأنَّ الإسلام لا يعرف الانفصالية بين الدين والدنيا، ولا يعرف سلطة الكهنوت، ولا يعرف العصمة لأحد غير المرسلين في تبليغهم عن الله.

(١) رواه أحمد (٥٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٤١): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلَّا أن ابن أبي مليكة لم يدرك الصديق.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والحاكم أو الخليفة إذن ليس معصومًا من الخطأ في تصرفاته، وليس له قداسة ترفعه عن مستوى الناس، كيف وهو فرد من الأمة، جاءت به عن طريق الاختيار والبيعة، وعليه أن يستشيرها، ويأخذ برأي أهل الحَلِّ والعقد فيها، وله عليها النصيحة والسمع والطاعة في المعروف، فإذا حاد عن الطريق وأمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة.

وحين ولي أبو بكر الخلافة خطب خطبته الشهيرة فقال: إنِّي وُليتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإنْ رأيتموني على باطل فقوِّموني، القويُّ فيكم ضعيف عندي حتَّى آخذ الحقَّ منه، والضعيف فيكم قويٌّ حتَّى آخذ الحق له، أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإنْ عصيته فلا طاعة لي عليكم[(١)].

وعمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة وبايعه النَّاس قام يخطب فقال: إنَّما أنا كأحدكم غير أنَّ الله جعلني أثقلكم حملًا[(٢)].

هذا هو الخليفة، ليس أفضل الناس، وإنْ كان أكثرهم مسؤوليَّة، هو وكيل للأمة بل هو خادم وأجير لها.

يروي لنا الإمام البخاري، عن عائشة قالت: لما استخلف أبو بكر قال: لقد علم قومي أنَّ حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وقد شُغلتُ بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، وسأحترف للمسلمين[(٣)].

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٦١/٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م، وابن كثير في البداية والنهاية (٨٩/٨، ٩٠)، وصحَّح إسناده. تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٤٠/٥)، والدارمي في المقدمة (٤٣٣).

(٣) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٠).

هذه هي وظيفة الحاكم محترف للمسلمين، وبعبارة أخرى مستخدم أو أجير للأمة، هي الَّتي وظَّفته، وهي الَّتي منحته راتبه، وهي الَّتي تُعينه إذا استقام، وتقوِّمه إذا اعوج.

ويدخل العالم الجليل أبو مسلم الخولاني على معاوية أمير المؤمنين، فيقول له في صراحة: السلام عليك أيها الأجير. ويقول جلساؤه: قل: السلام عليك أيها الأمير. فيقول أبو مسلم: السلام عليك أيها الأجير. فيعيدون قولهم، ويعيد قوله، وهنا يقول معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أدرى بما يقول[1].

وكان من ثمرات هذا الفهم أن شعر كل مسلم بمسؤوليته وشخصيته في رعاية الحقِّ والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تخطِّئ امرأةٌ خليفة على المنبر، فلا يجد غضاضة أنْ يعلن على الناس: أصابت المرأة وأخطأتُ[2].

* * *

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٥/٢)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٢) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٤٢٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٠٦)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٠٢): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف، وقد وثق. وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة (٣٢٧٦)، بسند أبي يعلى؛ وجوَّد إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٤٤/٢)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤) بلفظ: كل الناس أفقه من عمر.

QaradawiBooks.com

سياسة الإسلام في القتال والفتح

بعد ثلاثة عشر عامًا من احتمال صنوف العذاب والأذى وهجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين، وبعد أنْ أُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حقٍّ، تركوا إخوانهم المستضعفين في مكَّة يسامون سوء العذاب، وبعد أنْ همَّت نفوسهم بالانتقام من الظالمين وردَّهم الرسول إلى الصبر وانتظار أمر الله قائلًا: «**لم أؤمر بقتال، لم أؤمر بقتال**»[1].

ولما طال الصبر ولم يتخلَّ المشركون عن اضطهادهم للمستضعفين، ومصادرتهم الدعوة، أنزل الله في شأن القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

وابتدأ الصراع بين جبروت الشرك ودعوة الإسلام الَّذي استمر عدة أعوام، وقعت فيها الغزوات المعروفة في السيرة النبويَّة، وكانت كلها ردًّا على عدوان المشركين وغدر اليهود.

(١) ذكره الواحدي في تفسير الوسيط (٦٠٦/٦)، نشر عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ. ورواه النسائي (٣٠٨٦)، والحاكم (٦٦/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، كلاهما في الجهاد، عن ابن عباس بلفظ: «**إنِّي أُمِرت بالعفو، فلا تقاتلوا**».

QaradawiBooks.com

وفي الوقت الَّـذي كان فيه الصراع دائر داخـل الجزيرة العربيَّة بين قوى الإيمان والشرك، كانت هناك دولتان استعماريتان كبيرتان تتنازعان العالم إذ ذاك، وتفرضان سـيطرتهما على أجزاء من بـلاد العرب، هما دولتا: فارس الوثنيَّة الَّتي تسـيطر على العراق، والروم المَسِـيحيَّة الَّتي تسيطر على الشام.

ولـم يكن المسـلمون في هـذا الوقـت بحيث يفكـرون في فتح إمبراطوريَّات ضخمـة مثل: فارس والروم أو العـدوان عليها، وإنَّما بدأ هؤلاء بالشرِّ والعدوان.

بدأت فارس حين أرسـل كسـرى ـ ردًّا على دعوة الرسول له ـ إلى واليه باليمن «باذان» يقول له: بلغني أنَّ رجلًا من قريش خرج بمكة يزعم أنَّه نبي، فسر إليه فاستتبه، فإنْ تاب وإلا فابعث إليَّ برأسه، أيكتب إليَّ هذا الكتاب وهو عبدي[1]؟!

ولم يكن هذا الغرور والاسـتهتار عند الفرس وحدهـم، فإنَّ الروم أيضًا بدؤوا التحرُّش والعدوان، فقتلوا مبعوث رسول الله إلى والي الروم ببُصرى، ولم يتركوا الحرية لمن شـاء أنْ يسـلم، بل قتلوا وعذبوا، ثمَّ أرسلوا طلائعهم إلى تبوك بالأردن تنذر وتهدد، وعلم النبي أنَّهم ينوون مهاجمته فـي عقر داره، فكان من حسـن السياسـة أنْ يبادرهم قبل أنْ يبـادروه، ويهاجمهم قبل أنْ يهاجمـوه، وبدأ قتال مرير بسـرية «مؤتة» و«غزوة تبوك»، واستمرَّ في عهد الخلافة الإسلاميَّة.

لم يكن المسـلمون يبغون من ورائه إكراه أحد على دين، أو إعلاء جنس على جنس، أو طلب منفعة، أو اسـترزاق، كيف وقد سُئِل نبيُّهم:

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٩/١).

QaradawiBooks.com

يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل حمية ـ أي عصبيَّة ـ فأيهم في سبيل الله؟ فأجاب بالجواب الجامع: «**مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»[(١)].

ولم يكن هذا الفتح استعمارًا وسلبًا ونهبًا، وإنَّما كان إزالة للسلطات الطاغية، وتأمينًا للحريات، ونشر مبادئ العدل والمساواة.

أين هذا الفتح من فتوح أبادت أجناسًا، وقتلت شعوبًا، وخربت ديارًا؟ وقد صدق جوستاف لوبون حين قال: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب[(٢)].

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) حضارة العرب لجوستاف لوبون صـ ٦٠٥، ترجمة عادل زعيتر، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٦م. ونصُّ عبارة جوستاف لوبون: «فالحقُّ أنَّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العلاقة بين الرجل والمرأة

كانت المرأة في الجاهلية متاعًا أو كالمتاع، لا تعرف لنفسها قيمة، ولا يعترف لها برأي أو إرادة، حتَّى شكَّ بعض الناس ألها روح أم لا؟ وكانت نزعة الزراية بها والهضم لشخصيتها تسود العالم كله، حتَّى جاء الإسلام فأعلن كتابه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وبذلك حطَّ الأغلال عن عنقها، وأظهر شخصيتها، وأعلن مساواتها للرجل في الحقوق والواجبات، إلَّا ما تقتضيه طبيعة كلٍّ منهما.

وحسبنا في هذا أنَّ الله يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وأنَّ النبيَّ يقول: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرِّجال**»[(١)].

وخلق حواء من ضِلَع آدم ـ الَّذي يقال: إنَّه يوحي بطغيان الرجل على المرأة ـ لم تدلَّ عليه آيات صريحة في القرآن، وما ذكره في ذلك بعض

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. ورواه أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

المفسرين ردَّه عليهم آخرون، والذين ذكروه إنَّما استمدوه ممَّا ذكر في «سفر التكوين» من العهد القديم، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، كما علل ذلك في آية أخرى: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وذلك كقوله مخاطبًا الجميع: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] أي: من جنسكم.

كل ما للرجل من ميزة: هو الدرجة الَّتي ذكرها الله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وهي درجة القوامة والمسؤوليَّة عن البيت: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]. ليست درجة القهر والعنف، ولا درجة الاستبداد، إنَّما هي الرياسة الَّتي تقتضيها الفطرة، ويوجبها الواقع وطبائع الأمور. وهذه الرياسة لا تنال من حريتها الدينيَّة، ولا حريتها الفِكْريَّة، ولا حريتها المدنية، ولا تصرفها في أحوالها الشخصية، ولا تهضمها حقًّا مقررًا لها.

إنَّ إعطاء القيادة للرجل أمر طبيعي، فالحياة لا تنتظم من الوحدة الصغيرة إلى الوحدة الكبيرة إلَّا بقائد أو مسؤول، والرجل أولى وأحق بهذه القيادة؛ لأنَّه القائم بجلب القوت والمنفعة، وبالمسؤوليَّة عن رعاية البيت وحمايته، وهو أشد قوَّة وأعظم قدرة من المرأة. بل الذكر في عالم الحيوان نراه أقوى من الأنثى، نرى ذلك في الديك والدجاجة والكبش والنعجة إلخ، سُنَّة من سنن الله.

وما يذكره بعض الجاهلين بالإسلام: «**شاوروهنَّ وخالفوهنَّ**». فليس له أساس صحيح في دين الله، بل فيه ما يناقضه وينقضه، تقرأ ذلك في القرآن وفي السُّنَّة، فالقرآن يجعل للمرأة حقَّ المشاركة وإبداء الرأي في

QaradawiBooks.com

رضاع ولدهـــا وفطامه وتربيتـــه: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]. والسُّـــنَّة تجعل للأم رأيًا في زواج بناتها: «**آمروا النســـاء في بناتهن**»[(١)] وتجعل الرأي الأخير للبنت نفسها: «**البكر تُستأذن، وإذنها صُماتها، والثيب أحقُّ بنفسها**»[(٢)].

* * *

(١) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقـــال مخرِّجوه: حديث حســـن. وأبو داود في النـــكاح (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٢١)، وأحمد (٢١٦٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإسلام والعلم

إذا كانت بعض الأديان تقول: أطفئوا نور العقل. أطمسوا عين البصيرة. أو تقول: اعتقد وأنت أعمى، أو آمن ثمَّ اعلم. فإنَّ الإسلام يقيم عقيدته من أوَّل الأمر على أساس من النظر والتفكير لا التبعية والتقليد: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ [الروم: ٨]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

والقرآن هو الكتاب الَّذي يهيب بتاليه وسامعه دائمًا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢]، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

والعلم في الإسلام يقوم على الإيمان، والإيمان ثمرة له، ومترتب عليه، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾ [الحج: ٥٤].

نسخة مجانية

والعلم الكوني في القرآن سبيل إلى خشية الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

وما ذكر في الآيتين يشير إلى علوم الفلك والنبات والجيولوجيا والحيوان، وكلها علوم كونية، والقرآن يمجد العلم من حيث هو علم، ولا يسوي بين مَن يعلم ومَن لا يعلم، بغضِّ النظر عما يعلمه، ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ويحترم الاختصاص في كل فرع من فروع المعرفة، ويردُّ الناس إليه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ولا يرضى للمسلم أنْ يسير وراء الوهم أو الظن، ويحكم بغير بيِّنة أو علم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦].

ويحارب التقليد والجمود على موروثات الآباء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

كتاب يهيب بالعقل البشري مثل هذه الإهابة، ويصيح به هذه الصيحة المدوية: لا يمكن أن يخشى نتيجة النظر أو التفكير، وما يستتبع ذلك النظر من حقائق ومعلومات!

والقرآن أنزله الله كتاب هداية وتوجيه وتشريع، وليس من مهمَّته التحدُّث عن نظريات العلوم الكونية أو الطبيعية، وحسبه أنْ يدعو الناس

QaradawiBooks.com

للوصول إليها بوسائلهم وجهدهم، ولم يمنع هذا أنْ يشير أثناء حديثه عن الكون وما فيه من آيات إلى حقائق علمية كانت مجهولة للبشر، كشف الزمن عن صدقها، وقد ألَّف علماء متخصصون مخلصون في التنبيه إليها كتبًا شتى، ومن حسن الحظِّ أنَّ هذه الكتب لم يؤلِّفها أحد من علماء الدين، الَّذين اطلعوا على علوم الكون، بل ألَّفها في الغالب متخصصون في هذه العلوم، اطلعوا على الدين وعلى القرآن الكريم.

ومع أننا لا نوافق على كلِّ ما في هذه الكتب، ولا على منهج بعضها، فإنا نجد في مثل هذه الكثرة من الكتب أدلَّة واضحة على أنَّ القرآن في نظر المتبحِّرين في العلوم الحديثة غير مصادم لها فحسب، بل هو هادٍ إليها ودالٌّ عليها، وسابق في بعض الأحيان لما قررته.

والقرآن لا يعارض حقيقة علمية قاطعة، ولكنَّه قد يعارض بعض الآراء والفروض والنظريات، الَّتي لم تصل بعد إلى مرتبة الحقائق الثابتة، ولا ضير على القرآن في هذا، فكم من آراء ونظريات كانت عند أصحابها في مرتبة اليقين الَّذي لا ريب فيه، فإذا كر الغداة ومر العشي وتطور البحث العلمي يجعلها أوهامًا في أوهام.

وحسبنا ما كان يعتقده بعض مَن عرفوا بفلاسفة المسلمين: كأبي نصر الفارابي، وأبي علي بن سينا، من إيمانهم بالنظريات الفلكية اليونانية إيمانًا جعلهم يؤوِّلون آيات القرآن؛ فالأرض عندهم مركز الكون، والأفلاك عندهم لا تقبل الخرق ولا الالتئام، والعناصر الأربعة لا زيادة فيها، إلخ، ثمَّ يثبت العلم التجريبي أنَّ هذا كله باطل لا يقوم على أساس فذهبت ظنونهم، وبقي ما هدى إليه القرآن: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ١٧].

QaradawiBooks.com

ولكن المعتدلين من المفكرين المسلمين لم يجدوا في آيات القرآن شـــيئًا يناقض ما ذهبوا إليه، أو وصلوا إليه من ظواهر الطبيعة أو حقائق العلم، ومن هؤلاء: «البيروني» العالم المؤرخ الفيلسوف المعروف.

وننقل هنا ما قاله المستشـــرق الألماني «دي بوير» قال: «لا شك أنَّ البيروني كان سنيًّا مستنيرًا، وهو لعلو كعبه في العلم وسعة فكره، وتنوع معارفه، وتفطنـــه للحدود الَّتي لا يصـــح أنْ تتجاوزها أحـــكام التجربة الإنســـانيَّة المعتمدة على المشـــاهدة ـ يتمســـك بحقائق الدين العميقة فلا يعجبه التأويل الهازل للقـــرآن، ولا الانكســـار المتحذلق ـ من غير أساسٍ كافٍ لما يروى من غير الأفكار. وهو يتمسك بالقرآن فيؤلف مثلًا كتابًا جليلًا يسمى «لوازم الحركتين»، مقتبسًا أكثر كلماته عن القرآن»[١].

ويقول في كتابه عن الهند: إنَّ القرآن لم ينطق في أمر صورة السماء والأرض، وفي كل شيء ضروري بما يحوج إلى تعسف في التأويل. فهو في الأشياء الضرورية معها حذو القذة بالقذة، ولم يشتمل على شيء ممَّا اختلف أيسر من الوصول إليه.

ويصف البيروني[٢] كيد مُظهري انتحال الإسلام له، وإدخالهم ما في كتبهم فيه مســـتغلين تصديق ذوي القلوب الســـليمة الساذجة لهم. وفي بعض الأحيـــان يذكر الزنادقة مـــن أصحاب «مانـــي»، ويذكر الحركات والاتجاهات غير الإسلاميَّة ندًّا لها»[٣].

(١) معجم الأدباء لياقوت (٢٣٣٣/٥).

(٢) راجع: تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني صـ ١٩٦ وما بعدها، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام تأليف الأســتاذ تزجزدى بور بجامعة أمستردام صـ ٣٠٦، ترجمة د.عبد الهادي أبو ريدة، نشر دار النهضة العربية، ط ٥، ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

هذا هو الإسلام الَّذي قامت على أساسه حضارة علمية واسعة ممتدة في وقت لم تكن أوربا ترى فيه النور إلَّا من ســم الخياط، وفي تاريخه الطويل لم يضق صدره بعالم أو باحــث كما حدث في أوربا من معارك بين العلم والدين ومجازر تقشعر لها الأبدان.

وما نقل من حوادث فردية وقع فيها صدام بين من اشتغلوا بالفلسفة وبيــن الفقهاء وعلماء الكلام، فما كان صدامًا مع علم ســليم الأســس والقواعد، بل كان صدامًا على الجانب الميتافيزيقي الإلٰهي من الفلسفة الإغريقية بالــذات، وهو جانب يبحث في أمور قطــع فيها الوحي برأي حاســم لا مجال بعده لتخمين العقــول، وافتراض الفــروض، وإضاعة الأوقات في غير نفع ولا فائدة للإنسان والحياة.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مصادر الإسلام

للإســـلام مصادر محددة، تُعرف منها رسالته ووجهته، ولا يمكن أنْ يحكم له أو عليه بالاســـتمداد من غيرها، وتنحصر هذه المصادر فيما يلي:

أولًا: القرآن الكريم:

وهو مصدر إلٰهي بلفظه ومعناه، ليس من عمل مُحَمَّد ﷺ، وإنَّما هو قول رسول كريم هو جبريل، تلقاه من لدن حكيم عليم، ثمَّ أوحاه بلسان عربي مبين علـــى قلب مُحَمَّد، فتلقنه مُحَمَّد منـــه كما يتلقن التلميذ من أستاذه نصًّا من النصوص، ولم يكن له عمل بعد ذلك إلَّا:

١ ـ الوعي والحفظ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

٢ ـ الحكايـــة والتبليـــغ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٣ ـ البيان والتفســـير: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

٤ ـ التطبيق والتنفيذ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

وقد نقل إلينا هذا القرآن كاملًا متواترًا، نقلته أجيال عن أجيال تلاوة بالألسنة وحفظًا في الصدور، وكتابة في المصاحف، وشهادة التاريخ بتواتر هذا الكتاب شهادة ناصعة لا يماثلها ولا يدانيها شهادته لكتاب غيره ظهر على وجه الأرض.

هذا الكتاب هو المصدر الوحيد لعقائد الإسلام، وهو المصدر الأوَّل لنظمه وتشريعاته وآدابه وتوجيهاته.

وقد تلقَّاه المسلمون بالشرح والتفسير والتحليل كلٌّ في مجال عمله واختصاصه، واستنبطوا منه أحكام دينهم وأصول مجتمعهم. هذا في مجال العقيدة، وذاك في مجال الفقه والتشريع، وثالث في مجال الآداب والأخلاق.

وقد وضعوا الأسس السليمة، والقواعد المتينة لفهم هذا الكتاب والاستنباط منه، وفق ما عرفوه من أساليب لغتهم العربيَّة، وما خطَّه لهم النبي من توجيهات، وما فهموه من جملة تعاليم الإسلام وروحه العامَّة.

ولم يجد هؤلاء العلماء في آيات الكتاب إلَّا التناسق والائتلاف، فهي يصدِّق بعضها بعضًا، ويفسر بعضها بعضًا وما يظنُّه القاصرون ـ الَّذين يجهلون أسرار العربيَّة وأساليبها ـ تعارضًا أو اختلافًا، فما هو بالتعارض ولا الاختلاف. وإنَّما هي نصوص عامَّة تقيدها نصوص خاصة أو آية مطلقة تفسرها آية مقيدة، وهكذا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

نعم إنَّ في القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

QaradawiBooks.com

وليس المحكم هو الواضح، والمتشابه هو غير الواضح أو غير المفهوم، كما يُظنُّ أو يقال، فالقرآن كلُّه واضح مبين، وإنَّما المحكم: هو المقطوع بدلالته جزمًا.

والمتشابه هو: ما اختلفت الأذهان في دلالته.

ولعلَّ سائلًا يسأل: لماذا لم ينزل القرآن كله محكمًا ويريح الناس من التشابه؟

ومَن عرف حكمة الابتلاء والتكليف للإنسان أولًا، وعرف طبيعة اللغات وتنوع دلالتها ثانيًا، وعرف طبيعة بني آدم واختلاف عقولهم واتجاههم ثالثًا، وعرف عموم القرآن لكل البيئات والأزمان، والأجيال المتطورة رابعًا، وعرف طبيعة الإسلام الَّذي يحثُّ على إعمال العقل والاجتهاد والاستنباط خامسًا. مَن عرف هذا كله لم يشتبه عليه الأمر، ولم يحتج إلى هذا السؤال، بل قال ما قاله الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

لقد اقتضت حكمة الله أنْ تكون الآيات المحكمات في كتابه هي الأصول الَّتي لا خلاف عليها، والأسس الَّتي يرد غيرها إليها، والمحور الَّذي يلتف حوله الجميع، أمَّا الآيات الأخرى فقد جعلها الله من السَّعة والمرونة بحيث تتَّسع لمختلف الأفهام المعقولة في شتى البيئات والعصور، بحيث يعذر بعض الفاهمين بعضًا، ولا يكفر بعضهم بعضًا، وشعارهم تلك الكلمة الحكيمة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. وبهذا يكون القرآن مصدر تجميع لا مثير تفرقة، يكون كتابًا للإنسانيَّة في كل أحوالها، وجميع أزمنتها وشتى بلادها. ولو أنَّ كل آية محكمة قاطعة الدلالة، لكانت هذه هي النقمة الَّتي تُغلق

QaradawiBooks.com

على المجتهدين باب الفَهم، وتطفئ تألق الفكر، وتشلُّ حركة العقل. ولا يليق إلَّا بصنف واحد من النَّاس، ولزاوية واحدة من النظر، وما لهذا أنزل الله القرآن: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ثانيًا: السُّنَّة:

وهي الأقوال والأعمال الثابتة عن مُحَمَّد رسول الله ﷺ، وضَّح بها مجمل القرآن، وفسَّر بها مراد ربه، وطبق بها شرائعه وآدابه تحقيقًا لقول الله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

هذه السنَّة هي المصدر الثاني في تعرف نظام الإسلام وتعاليمه، وإذا ثبت أن محمدًا رسول موحى إليه، كان ما يقوله ويهدي إليه في تبيين هذا الإسلام، وتوضيح معالمه وتطبيقه في الحياة، منزلة الوحي المعنوي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

هذه السُّنَّة مشت في رحاب القرآن، وعبّرت عن روحه شارحةً وموضّحةً، وتركت للناس أبواب الفهم والتجديد في أمور حياتهم المتطورة، الَّتي تتصل بوسائل المعايش الَّتي تتغير بتغير البيئات والأزمان، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**»[1].

وقد وجدت هذه السُّنَّة من الرعاية في حفظها، وجمعها، وتنقيتها من الدخيل عليها ما لا يزال التاريخ العلمي يذكره بالفخر والإعجاب.

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، وأحمد (١٢٥٤٤)، عن عائشة وأنس.

QaradawiBooks.com

فقد حاول أعداء الإسلام أنْ يدسُّوا فيها ما ليس منها، ليكدروا نقاءها، فوضعوا أحاديث مكذوبة، وروايات ملفقة، ونسبوها زورًا إلى رسول الله، منتهزين ما حاق بالمسلمين من فتن في فترة من الدهر، ولكن سرعان ما وقف الأفذاذ من سلف هذه الأُمَّة، الَّذين كرسوا حياتهم يطوفون البلاد، ويجوبون القفار، بحثًا عن صحيح السُّنَّة، وكشفًا عن زائفها. وكان العهد قريبًا بالرسول وصحابته، والأمَّة العربيَّة أمَّة حفظ ووعي، فوضع هؤلاء العلماء الأصول والقواعد للرواية، وبحثوا عن الرجال، وجرحوا وعدلوا، وألفوا الكتب الكثيرة في التاريخ والسير والأسماء، ولم يأخذوا إلَّا عن ثقة عدل حافظ ضابط حتَّى لقد أفردوا كتبًا للثقات من الرواة وكتبًا للضعفاء، وذلك جهد لم يعرف لأمَّة في صيانة تراث نبيها.

وما يقال: إنهم اهتموا بسند الحديث ورواته دون موضوعه أو متنه، فهذا كلام غير صحيح؛ لأنَّهم اهتموا بالموضوع أيضًا، فردُّوا الحديث الشاذ المخالف لما عرفوا من أصول، وردوا الأحاديث لعِلَل قادحة تتصل أحيانًا بالموضوع كما تتصل بالسند.

نعم إنهم وجَّهوا جُلَّ همتهم إلى السند والرواة؛ لأنَّ الموضوع تختلف العقول في قبوله ورده، حسب عصورهم وثقافاتهم، وما كان يعتبر صحيحًا مقبولًا بالأمس، قد يُعدّ خطأً مرفوضًا اليوم، وبالعكس.

فقاموا بما عليهم في نقد الرواة وتجلية حالهم، وتركوا لمن يأتي بعدهم الحكم على موضوع الحديث، بما يتفق وما عندهم من وسائل الفهم وموازين النقد.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: الاجتهاد:

لم يشرع الإسلام في مصدريه: القرآن والسُّنَّة للمسلمين في كل شيء، فيضيق عليهم ما لهم فيه فسحة، ولم يدع التشريع في كل شيء فيتركهم تائهين بلا أصل يعتمدون عليه، ولكنَّه شرع وحدَّد ما لا مجال للرأي فيه، كالعبادات، وما لا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال، كالقواعد الكلية والحدود والكفارات والمواريث وأكثر شؤون الأسرة.

وترك التشريع أو النص أو التحديد فيما يختلف باختلاف الأوقات والبيئات، وأعطى بذلك العقل الإنساني حقَّه في الاجتهاد والقياس والاستنباط، وجعل للمجتهد أجرًا إذا أخطأ، وأجرين إذا أصاب.

وعلى هذا الأساس قامت حركة فقهيَّة تساير تطور الزمن وحاجة الناس، وقال الفقهاء: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور[1].

ولم يوضع الفقه في عهد الخلافة العباسيَّة ـ كما قال بعض الجاهلين ـ بل وجد الفقه منذ عهد الرسول ﷺ، ونما في عهد الصحابة، وزاد نموًّا في عهد التابعين، وكان تدوينه في عهد العباسيين.

وهنا لا بد أن ننبِّه إلى الفرق بين الشريعة الإسلاميَّة، والفقه الإسلامي.

فالشريعة هي: النصوص المقدَّسة من الكتاب والسُّنَّة الثابتة. والفقه هو: استنباطات الفقهاء في دائرة النصوص، أو فيما لا نصَّ فيه.

---

(١) ذكره أبو الوليد الباجي في المنتقى بشرح الموطأ (١٤٠/٦)، نشر مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

الشريعة: ثابتة لا تتغير ولا تتطور، والفقه مرن متحرك يتغير ويتطور، الشريعة وحي الله، والفقه عمل الإنسان[١].

ولكن مهما قلنا: إنَّ الفقه من صنع العقل الإسلامي، فإن فقهاء الإسلام كانوا يحرصون حسب طاقتهم على أن يكون اجتهادهم داخل إطار الشريعة وتبعًا لها، محاولين التحرر من الهوى والذاتية ما استطاعوا.

ولم يهدف الفقهاء في فقههم إلَّا إلى ما هدفت إليه الشريعة، من رعاية مصالح العباد، من ضروريات، وحاجيات، وتحسينات. كما عبر الشاطبي. ولم يهدفوا إلى رعاية مصلحة خاصة لطائفة أو فرد أو خليفة، كيف وكلهم رفضوا المناصب والقربى من الخلفاء، وتحمَّلوا الأذى في سبيل تجرُّدهم العلمي.

رفض أبو حنيفة القضاء وتقبَّل السجن راضيًا، وروي أنَّه مات فيه.

وضرب مالك بالسياط في سبيل أنْ يغير أو يكتم رأيًا رآه فأبى.

وأوذي الشافعي من أجل تجرده وأمانته.

واحتمل أحمد بن حنبل من العذاب ما لا يحتمله إلَّا المؤمنون الأبطال.

وهؤلاء الأئمة الأربعة هم مؤسِّسو المذاهب السنية المشهورة في المسلمين.

وهذه المذاهب الأربعة وغيرها لا تلزم المسلمين باتباع أحدها، إنَّما هي اجتهادات لأصحابها، الَّذين لم يزعموا لأنفسهم العصمة، ولم يلزموا الناس بتقليدهم يومًا، ولم ينظر واحد من هؤلاء الفقهاء إلى غيره

(١) راجع: مقال مع المذاهب الإسلامية للدكتور محمد البهي، مجلة الأزهر، عدد صفر ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

نظرة التعصب أو الخصومة، بل نظرة ملؤها التسامح والمودة، وتقدير آراء الآخرين.

قال أبو حنيفة: قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا[١].

وقال مالك: كلُّ أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلَّا المعصوم ﷺ[٢].

وقال الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب[٣].

وما عرف في بعض العصور والأقاليم من التعصب لمذهب ضد غيره فهو ثمرة من ثمرات الجهل، والتأخر العقلي الَّذي أصيب به المسلمون حينذاك، والإسلام وفقهاء الإسلام منه براء.

ونحب أن نقرر هنا أنَّ الخلاف بين المذاهب السُّنِّية، وبين الشيعة المعتدلة ليس خلافًا جوهريًّا يمتد إلى أصول العقيدة، وإنَّما وسع الهوة بينهما أهواء الحكام، ودسائس خصوم الإسلام، فالجميع من سنيين وشيعة، يؤمنون بإله واحد؛ ويقدِّسون كتابًا واحدًا، ويتبعون رسولًا واحدًا، ويتجهون إلى قبلة واحدة. هم جميعًا يقيمون الصلاة، ويؤدون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلًا.

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٨١/١٥)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٣/٨)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) نقل ابن حجر الهيتمي أن ذلك مذهب الشافعية. الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤)، نشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة.

QaradawiBooks.com

إنَّ في الفقه الإسلامي ثروة من القواعد والتطبيقات والنظرات العميقة في كل مجالات الحياة: أسرية ومدنية، وجنائية، ودستورية، ودولية، اعترفت بقيمتها وصلاحيتها المؤتمرات الدولية التشريعيَّة الحديثة، كمؤتمر «لاهاي» وغيره.

وهي ثروةٌ صالحةٌ لأن يقوم عليها صرح تشريعي مكين؛ لذا توفّر أرباب الفقه والقانون عليها. وفعلًا قد اقتبس واضعو القوانين المدنية في البلاد العربيَّة منها كثيرًا من المواد والقواعد.

وبعد: فإنّ مبادئ الإسلام هي أفضل المبادئ لإصلاح الأفراد، وإسعاد الأسر، وتنظيم المجتمعات، وتوجيه الحكومات، وهداية الإنسانيَّة كلها إلى الصراط المستقيم.

بيد أنَّ المبادئ وحدها لا تغني إذا لم تجد رجالًا يؤمنون بها، وينقلونها إلى واقع تراه الأعين ويلمسه الناس، وبدون هذا سنظل نردد قول القائل: يا له من دينٍ لو كان له رجال.

وحسبنا أن تعلم أنَّه حين تهيَّأ للإسلام حكم عادل وخلافة راشدة في عهد عمر بن عبد العزيز رأت الدنيا في مدى عامين (٩٩ ـ ١٠١هـ) من العدالة والنظام، والقوة، والرخاء ما لم تحققه في عشرات السنين من بعد.

فمَن كان يريد أنْ يستدلّ بالتاريخ فليستدلّ بأمثال هذه السيرة المنيرة، وإلَّا فليعرف الإسلام من كتابه المُنزّل، وسنَّة نبيه الثابتة، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

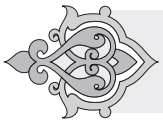

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٢٣	٢٣
﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾	١٠٢	٧٠
﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾	١١٦	٣٢
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	٣١
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ﴾	١٧٠	٧١
﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١٨٤	٧٠
﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾	١٨٥	٢٥، ٤٢
﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾	٢٢٨	٦٧، ٦٨
﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٢٣٠	٧٠
﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾	٢٣٣	٦٨
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾	٢٥٦	٣٤
﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾	٢٦٧	٥٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	٥٢

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	٢٧٩	٥٢
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾	٢٨٦	٣٤
سورة آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٧	٧٦، ٧٧
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	٥٣	١٨
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	٣١
سورة النساء		
﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	١	٦٨
﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾	٥	٥٣
﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾	٣٤	٦٨
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٧٧	٥
﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	٨٢	٧٦
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾	١٠٥	٧٥
﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	١٢٣	٤١
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	١٢٤	٤١
﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾	١٦٥	١٨
سورة المائدة		
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾	٦	٤٣
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	٤٥
﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾	٤٨	٥٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾	٥٠	٧٠
﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	١٣٢	٥٧
﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾	١٣٦	٢١
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾	١٤٨، ١٤٩	٣٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾	١٥٩	٣٨
سورة الأعراف		
﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٨٥	٧٠
﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾	١٨٩	٦٨
سورة التوبة		
﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٣٤	٥٣
﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾	٣٥	٥٣
﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٦٠	٤٩، ٥٩
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧١	٦٧
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٥٨
﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	٤١
سورة يونس		
﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢٤	٧٠
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾	٣١	٤، ١٧
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾	٣٢	٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾	٣٦	٧١
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾	٩٩	٣٦
﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٠١	٧٠
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٣٠
﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	١٣	٢٣
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾	٤٠	٢٨
﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٤٤	٢٨
﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾	١٠٧	٣٦
سورة الرعد		
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾	٤	٧٠
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	١٧	٧٢
سورة الحجر		
﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾	٨٨	٥٨
سورة النحل		
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾	٣٥	٣٥
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٤٣	٧١
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾	٤٤	٧٥، ٧٨
﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ﴾	٧١	٥٧
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾	٩٧	٦٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإسراء		
﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾	٧	٣٤
﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾	١٦	٥٣
﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾	٢٧	٥٣
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾	٣٠	٣٦
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾	٣٦	٧١
﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	٤٦
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾	٨٨	٢٤
﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾	٩٥	١٨
﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾	١٠٦	٧٥
سورة الكهف		
﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	٢٩	٣٤
سورة طه		
﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾	٧٠	١٩
﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾	٧٢	١٩
سورة الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	٢٨
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	٣٢
﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	٩١	٧٠
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾	٢٦ ـ ٢٨	٤٥
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	٣٩	٦٤
﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾	٤٠	٦٤
﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾	٥٤	٧٠
سورة المؤمنون		
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾	٩١	٣٢ ،٤
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥	٤١
سورة النور		
﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾	٣٣	٤٩
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٧٨
سورة الشعراء		
﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	١٥٤	٢٣
سورة القصص		
﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٧٢	٧٠
سورة العنكبوت		
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾	٤٥	٤٥
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾	٥٠	٢٣
﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾	٥١	٢٣ ،٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الروم		
﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾	٨	٧٠
﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾	٢١	٦٨
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾	٣٠	٣٢
سورة الأحزاب		
﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾	٣٥	٦٧
﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾	٦٣	٤٠
سورة سبأ		
﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٣	٣٧
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾	٤٦	٧٠
سورة فاطر		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ ﴾	٢٧	٧١
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾	٢٨	٧١
سورة يس		
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾	٤٧	٣٥
سورة ص		
﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾	٥ ـ ٧	٢١
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ ﴾	٢٧	٤١
﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٨	٤١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	٥٧، ٧١
سورة فصلت		
﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	٤٦	٣٤
سورة الشورى		
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾	٢١	٣٣
سورة الزخرف		
﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾	٩	١٧
﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	٢٠	٣٥
﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٣٢	٥٧
سورة محمد		
﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾	٤	٦٠
سورة الحجرات		
﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾	١٣	٦٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	١٣	٥٥
سورة الطور		
﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾	٣٤	٢٣
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٣٥، ٣٦	١٦

غير مرخص للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النجم		
﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾	٣١	٤٠
﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۞ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	٣٨ ـ ٤١	٣٤
سورة القمر		
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٣٦
سورة الحديد		
﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	٧	٤٩
سورة المجادلة		
﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾	١١	٥٧
سورة الحشر		
﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	٧	٥٣، ٧٨
سورة الجمعة		
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾	٢	٤، ١٨، ٢٤
﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٣	٤، ٢٤
سورة الملك		
﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾	١٥	٤١
سورة المدثر		
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾	٣٧	٣٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإنسان		
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾	٢٩	٣٤
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٣٠	٣٦
سورة الأعلى		
﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾	٦	٧٥
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٥	٤٤

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

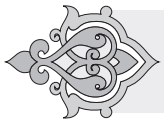

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آمروا النساء في بناتهن	٦٩
إخوانكم خَوَلكم	٦٠
اسمعوا وأطيعوا، وإن اسْتُعْمِلَ عليكم عبد حبشي، كأنَّ رأسه زَبِيبة	٥، ٥٦
أنتم أعلم بشؤون دنياكم	٧٨
إنَّما النساءُ شقائقُ الرِّجال	٦٧
إنِّي أُمِرْتُ بالعفو، فلا تقاتلوا	٥، ٦٤
ب	
البكر تُستأذن، وإذنها صُماتها، والثيب أحقُّ بنفسها	٦٩
ج	
الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون	٥٢
ش	
شاوروهنَّ وخالفوهنَّ	٦٨
ك	
كونوا عباد الله إخوانًا	٥٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ل	
لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، لبَّيْكَ لا شريك لك لبَّيْكَ	٤٦
لعن رسول ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه	٥٢
لم أؤمر بقتال، لم أؤمر بقتال	٦٤
م	
من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ	٣٣
مَن أحيا أرضًا ميتة فهي له	٥٤
من شَرِبَ في آنية ذهبٍ أو فضَّة، فإنَّما يُجَرْجر في بطنه نارَ جَهَنَّم	٥٣
مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله	٦٦
هـ	
هي من قدر الله	٣٧
و	
ولولا أنِّي رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك	٤٦

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

- من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤
- من مشكاة النبوة الخاتمة ٥
- **مقدمة الطبعة الجديدة** ٧
- **مقدمة** ٩

وخصوم الإسلام صِنْفان ٩

- حملة قديمة ١٣
- التديُّن غريزة فِطريَّة ١٥
- إرسال النبيِّين من آثار الرحمة الإلٰهيَّة ١٨
- رسالة الإسلام ٢٠
- القرآن هو الآية الكبرى على رسالة مُحَمَّد ﷺ ٢٣
- القرآن آية وهداية ٢٥
- أين المعارضون للقرآن؟ ٢٧
- الإسلام عقيدةٌ ونظام ٣١
- مزايا العقيدة الإسلاميَّة ٣٢
- شبهات حول العقيدة «الجبر والاختيار» ٣٤

نسخة محمية

QaradawiBooks.com

❖ **حول الآخرة والإيمان بها** **٤٠**

❖ **نظام الإسلام** **٤٢**

❖ **عبادة الله وحده** **٤٤**

❖ **العلاقات الإنسانيَّة** **٤٨**

العلاقة بين الأغنياء والفقراء: ٤٨

❖ **الإسلام يقيم التوازن بين الأغنياء والفقراء** **٥٢**

❖ **الأغنياء في الإسلام ليسوا طبقة** **٥٥**

❖ **نظرة الإسلام إلى الرق** **٥٩**

❖ **علاقة الحاكم بالمحكوم في الإسلام** **٦١**

❖ **سياسة الإسلام في القتال والفتح** **٦٤**

❖ **العلاقة بين الرجل والمرأة** **٦٧**

❖ **الإسلام والعلم** **٧٠**

❖ **مصادر الإسلام** **٧٥**

أولًا: القرآن الكريم ٧٥

ثانيًا: السُّنَّة ٧٨

ثالثًا: الاجتهاد ٨٠

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٨٧**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٩٧**

• **فهرس الموضوعات** **٩٩**

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com